بسم الله الرحمن الرحيم

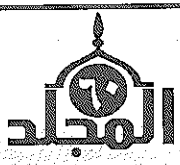

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

جمادى الثانية ١٤٣٦هـ

أبريل ٢٠١٥م

العدد العاشر- المجلد الستون

April 2015

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدا التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

محتويات العدد

العدد العاشر- المجلد الستون – جمادى الثانية ١٤٣٦هـ- أبريل ٢٠١٥م

❖الافتتاحية :
الإرهاب ، حرب على طبيعة الإنسان ، وشريعة الإسلام — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖التوجيه الإسلامي :
الإسلام يدعو إلى العلم و يحترم العلماء — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري — ٨
شرح قصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية — الدكتور غريب جمعة — ١٢
تصور الحرب في الهندوسية والبوذية — الدكتور نسيم أختر الندوي — ١٩

❖الدعوة الإسلامية :
أخطأ القاضي! — الدكتور عبد الحكيم الأنيس — ٣٣
الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محرم المصري — الدكتور محمد مظهر عالم الندوي — ٣٥
العاطفة الدينية والصبغة الإسلامية فى القصص القصيرة — الحافظ عبد المغيث — ٤٢

❖الفقه الإسلامي :
إدارة القضاء في عهد هارون الرشيد — الباحث سوم بات ، جارون سوك — ٥٠

❖ دراسات وأبحاث :
جزيرة العرب : مساحتها ، وعمرانها وطبيعتها — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٥٨
المقالة في الأدب العربي — الأستاذ محمد إقبال الندوي — ٦٢
مساهمة عبد العزيز الميمني في تطوير اللغة العربية في الهند — الباحث محمد ريحان الندوي — ٧٠

❖من تاريخ الهند الجديد :
الدستور الهندي و الأقليات — الدكتور محمد سلمان خان الندوي — ٧٦

❖من كنوز القرآن :
تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٨٤

❖في الشعر والأدب :
يا ابن عرفان — د. عبد الحكيم الأنيس — ٨٣

❖أخبار علمية وثقافية :
مسابقة الشيخ غانم بن علي آل ثاني – فرع الهند — قلم التحرير — ٩٤
مؤتمر الصحوة التعليمية بجامعة القاسم دارالعلوم الإسلامية — " " " — ٩٥

❖إلى رحمة الله تعالى :
١. الأخ السيد معيد أشرف في ذمة الله تعالى — ٩٦
٢. الشاعر الإسلامي الكبير السيد كليم أحمد عاجز في ذمة الله تعالى — ٩٦
٣. فضيلة المفتي مفضال الرحمن القاسمي في ذمة الله تعالى — ٩٧
٤. الأخ العزيز السيد محمد أحمد الندوي إلى رحمة الله تعالى — ٩٨
٥. حرم الشيخ الطاهر الجزائري إلى رحمة الله تعالى — ٩٨
٦. الشيخ محمد أطهر السنبهلي إلى رحمة الله تعالى — ٩٩
٧. فضيلة الشيخ محمد حاذق القاسمي في ذمة الله تعالى — ٩٩
٨. والد الدكتور شير أفغن إلى رحمة الله تعالى — ١٠٠
٩. الأخ الكريم السيد عبدالعزيز الندوي في ذمة الله تعالى — ١٠٠

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإرهاب ، حرب على طبيعة الإنسان ، وشريعة الإسلام

من تكوينيات الخلق والأمر التي تختص بخالق الكون والإنسان، أنه ميز البشر بالعقل والشعور والعواطف والأحاسيس ، وبهذه الميزة أصبح متأملا في الكائنات وما يتجلى فيها من قدرة الخالق رب السماوات والأرض وآياته الباهرة التي تأخذ بالألباب ، ولولا العقل وقوة الإدراك والتمييز التي يتفرد بها الإنسان الذي خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وحمله أمانة الدين والأخلاق ، وأمانة العقل والفكر وجميع الشئون التي تتضمن معنى الإنسانية ، لولا ذلك لما وصفه بأحسن ما يوصف به كائن حي في هذا الكون . ذاك أنه يملك جوهرة العقل التي تهديه إلى التفكير في آيات الله البينات وتوجهه إلى وجود قدرة القادر المطلق وتشغل فكره بالتدبر فيها وتملأ قلبه هيبة لله الواحد القهار وتثير فيه معاني الخشوع والحب والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وليس هناك مجال أوسع للتفكير في ذات الله تعالى ، من خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، الواقع الذي يعيشه الإنسان في جميع نشاطاته وفعالياته وجميع أوقاته ولمحاته ، ولا يفارق ذلك لدى أولي الألباب الذين يشغلهم ذكر الله سبحانه وتعالى مهما كانت الأحوال والظروف ، سواء في حال الشدة والرخاء أو السراء والضراء ، ذاك أنهم أصحاب العقول السليمة الصحيحة التي تدفعهم نحو الذكر والدعاء والخضوع أمام هذه القدرة العظيمة التي لا تعادلها قوة ولا سلطة ولا مال ولا جاه ومنصب .

ومن خلال نعمة العقل السليم يتبادر المرء إلى ما ينفعه في بناء الحياة والإنسان على أسس متينة من الإيمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى قاعدة العقيدة الصلبة ، ويتحاشى من كل ما يصيب هذا البناء من ضرر أو يؤدي إلى زعزعة بنيانه من أي ناحية مما يتصل بالله تعالى وتعاليم دينه ، ويكون له علاقة بالمجتمع البشري أو الكوني العام ، ولنقرأ تأكيد استعمال العقول والألباب في تدبر وتأمل لآيات الله تعالى المنبثة في الكائنات كلها :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ . الذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (آل عمران : ١٩٠ – ١٩١) .

" روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أنها قالت : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ، قام يصلي فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فرآه يبكي ، فقال يا رسول الله أتبكي ، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال : يا بلال ألا أكون عبداً شكوراً ، ولقد أنزل الله تعالى عليّ الليلة آية ((إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ)) ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " .

لاريب أن التفكر في الآية يمهد الطريق نحو الإيمان بالخلق والأمر وهو حق الله تعالى وحده ، وتعيين الاتجاه إلى دراسة أظهر آيات الله في السماوات والأرض والليل والنهار ، وتحديد الموقف من الدنيا وما فيها من حياة مقتصدة وسلوكيات رفيعة وعلاقات واسعة مع شئون العالم البشري، الفردية و الاجتماعية ، ومعاملات جامعة للدين والدنيا ، وتخليص النية من كل شائبة سلبية على جميع المستويات في التعايش مع الناس والترابط الحضاري والاجتماعي بينهم ، وإيجابيات النفع العام في جميع المجالات الاقتصادية مع الفرار الكامل من كل الألوان الاحتكارية والإضرارية .

جميع شئون العالم البشري تابعة للعقل السليم والنوايا الصالحة ، والعيش في المناصحة والتعاون على البر والتقوى ، والدعوة إلى الخير ، وبناء المجتمع الإنساني المؤسس على قاعدة الإيمان واليقين والاستسلام لما أمر الله به والامتناع عما نهى الله عنه ، وباعتبار أن الناس كلهم عباد رب واحد ، وأبناء أب واحد ، (كلكم من آدم وآدم خلق من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى) وكان رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، يناجي ربه في آخر الليل ويقول : وأنا شهيد أن العباد كلهم إخوة (رواه أبو داؤد)

وقد ازدهرت الإنسانية في عهد الإسلام دين الله الأخير ، وكان الإنسان قبله مرذولاً أمام الأوثان والأصنام وخاضعاً لعادات وتقاليد لم تكن تمت إلى دين أو حضارة ، ولم تكن تمثل منهجاً للعيش ولا طريقاً للعز والسعادة ، ولا نظاماً للتعامل والتعايش ، كانت الحياة فوضى ، والعرض سلعة تباع وتشترى في سوق المناداة رخيصاً ، فمن كانت له غلبة من الشرف المزعوم ، ومن كانت عنده سيادة مسلوبة ، ومن كانت عنده جماعة من الأتباع والخدم ، كان أولئك كلهم يعيشون على حساب الآخرين ، بالتهديد والتخويف ، وبقوة السيف والسنان ، وبالاستبداد والظلم ، فكانت المعاداة والتظاهر بالفخر والرياء ، الميزة البارزة بين القبائل والشعوب ، الواقع الذي عرفه التاريخ البشري بالجاهلية الأولى التي منع عنها كتاب الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمرهن

بالعيش في داخل البيوت فقيل : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) .

ألم يكن هذا التطهير في القول والعمل نتيجة للدين الكامل الخالد الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه يوم أعلن عن ذلك فقال : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) فكان العالم الإنساني قد نال جائزة السماء الغالية الخالدة الدائمة عن طريق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وسلك المحجة البيضاء التي تؤدي إلى العلم وحقائقه وتبين صلاح العمل المرضي لدى الله تعالى ، وكل ما سوى ذلك فليس إلا أوهاما وأباطيل لا يرضاها العقل السليم والفكر المستقيم .

إن الله سبحانه وتعالى رفع مكانة البشر لأنه أكرمه بالعقل والدين ، ووجهه إلى استعمال جوهرة العقل في ضوء تعاليم الدين وتوجيهات كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم فضّل بني آدم وكرمهم على الخلق كله ووفر لهم كل ما هم بحاجة إليه في حياتهم المادية والمعنوية سواء في البر أو البحر أو في مجال الرزق الطيب ، وقد يكون هناك خلق أفضل من بني آدم في خفايا القدر أو الكائنات ، ولكنه فضلهم على كثير ممن خلقهم تفضيلا ، فكان من تقدير هذه النعمة والشكر على جلائل قدرته وتكريمه بني آدم ، أن تكون حياتهم على ميزان العقل عادلة مقتصدة دون أن يصدر منهم ما لا يرضاه الخالق العظيم من المعاصي والمنكرات والفساد في الأرض الذي أصبح اليوم ميزة العالم البشري ، التي اختلت بها الموازين ، وفقدت مقاييس الخلق والإيمان ثقتها لدى الناس ، فنحن بأمسّ حاجة إلى أرض أو بلد تمثل نموذج استعمال العقل السليم، ولا تقدم نماذج الهدم والتخريب والتشريد والتبديد، وسفك دماء الإنسان بالإنسان ، وقتل بعضهم بعضا ، لأدنى سبب ، ولأقل مبرر ، أفلا نرى أن الحكومات تُبدل ، وعروش الحكم تقلب ، ويؤخذ بأصحاب الحكومات والدول وأرباب السلطة والقوة ، ويزجون في السجون أو يقتلون بغاية من القسوة ، وبذلك تنشأ جرائم كثيرة ويمتلئ بلاد الله تعالى بالظلم والعدوان ، والهتك والنهب وألوان كثيرة من الاعتداء والوحشية ، وقد نرى نماذج ذلك في كثير من البلدان التي سكانها مسلمون ، وفيها آثار إسلامية وشعائر دينية ومساجد مشيدة ، ولكن كل ذلك يُقتلع من جذوره ويقع فريسة النسف والتحريق والتهديم ، بأيدي أناس يزعمون أنهم مسلمون ، ومنهم من يدعون بإقامة الخلافة الإسلامية وتأسيس الدولة الإسلامية، ولا يبالون بقطع الأعناق من غير مبرر ، ولا يتلكأون في تهديم بيوت الله تعالى وإزالة آثار إسلامية

ومكتبات ومتاحف تنتمي إلى تاريخ الإسلام العتيق ، وتذكّر بعظمة الإسلام وأتباعه وأبنائه الماضين البررة .

وما ذلك الذي نراه من مبكيات ومحزنات في العالم الإسلامي اليوم ، ليس إلا ذلك الحقد الدفين على الإسلام في قلوب الفئات المعاكسة للإسلام في الغرب الذي يتابع ويساند الحركات الهدامة ضد الإسلام وقد اخترع لذلك مصطلح "إسلاموفوبيا" الذي يعني ضعف الإسلام عن قيادة النوع البشري وتقاعسه في العالم المعاصر ، ولكن بالرغم من هذه التهمة التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة يتكاثر الإقبال على الإسلام في الغرب ويتزايد عدد المهتدين الجدد على غير قياس ، الأمر الذي أزعج زعماء الغرب ولا سيما اليهود الذين قاموا بابتكار أساليب عسكرية ضد الإسلام وتشجيع المناوئين له على محاربته وتحديد دعوته ودعاته ، والقضاء عليه أخيراً ، ليصفو الجو لليهود في كل مكان وفي الحرمين الشريفين وقبة الإسلام – لا قدر الله ذلك – وجميع بلدان المسلمين ودولهم حتى يتفردوا بزعامة العالم كله ، والسيطرة على مصير المسلمين كيفما شاؤا وأرادوا .

ولا شك أن القيام ضد هذه العداوة والحقد ، والعودة بالثقة الكاملة برسالة الإسلام إلى قلوب الجيل الناهض من الشباب ، واجب ضخم ومهمة عملاقة لا تتحقق بمجرد التخطيط وبجماعة قليلة بل إن ذلك يحتاج إلى تربية المفسدين في الأرض ودعوتهم إلى اختيار الواقع من أي جهة كانت ، وبأي ثمن ممكن ، ذلك لأننا نرى أن هناك شرذمة من الناس تنفذ خطة الإرهاب باسم الإصلاح وتحاول إنماءها إلى الشباب المسلم ، ويبدو أن جماعة من اليهود وغير المسلمين قد تصدوا لهذا العمل ، ونسب ذلك إلى الشباب المسلم ، رغم علمهم بأن الدين الإسلامي لا يشجع مثل هذه الأعمال وإنما يدعو إلى السلم والسلام ويقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ، يؤكد ذلك أن الإسلام ليس إلا سلماً وسلاماً ، والذين لا يعبرون عن هذا المعنى بأعمالهم ونشاطاتهم ليسوا إلا متبعي خطوات الشيطان ، والمسلمون لا يمكنهم أبداً وفي أي حال أن يحاربوا العقل الإيماني ويأخذوا بأيديهم السلاح من غير شرعية ، ويقوموا بالإرهاب وإهلاك الحرث والنسل ، لذلك فإن كل مسلم ممن يدين بالإسلام ويتبع شريعة الإسلام لن يكون من الإرهاب في شيئ ولن يرضاه أبداً .

إن إرهاب اليوم ليس إلا من صناعة الغرب الذي أعد للإضرار بالإسلام جماعة مأجورة من جنسيات وشعوب عديدة قد يمكن أن ينضم إليها شباب فج من المسلمين بحكم إغراءات مادية وما إليها ، إلا أن

الإرهاب ليس إلا أداة الغرب لدحض موجة الأسلمة وسد منبع الدخول في الإسلام أفواجا .

ولمجرد القضاء على الإرهاب نظمت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عقد مؤتمر عالمي بإيعاز من الحكومة السعودية بعنوان (الإسلام ومحاربة الإرهاب) في الفترة بين ١٤٣٦/٥/٣ هـ ١٤٣٦/٥/٦ هـ الموافق ٢٠١٥/٢/٢٢ م ٢٠١٥/٢/٢٥ م ، افتتحه خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود بكلمة ألقاها نيابة عنه الأمير خالد الفيصل ، جاء فيها : (وفضلا عن الخسائر الفادحة في الأرواح والبنيان والشتات وتقسيم الأوطان فإن الخطر الأعظم على أمتنا أن هؤلاء الإرهابيين الضالين المضلين قد أعطوا الفرصة للمغرضين المتربصين بالإسلام حتى في الدوائر التي شجعت هذا الإرهاب أو أغمضت عينها عنه، أن يطعنوا في ديننا القويم الحنيف ويتهموا أتباعه الذين يربو عددهم على المليار بجرم هذا الفصيل السفيه الذي لا يمثل الإسلام من قريب أو بعيد .

وقد سوغت جرائمهم المنكرة تجريد الحملات العدائية ضد الأمة ودينها وخيرة رجالها وترويج صورة الإرهاب البشعة في أذهان الكثير من غير المسلمين ، على أنها طابع الإسلام وأمته ، وتوظيفها لشحن الرأي العام العالمي بكراهية المسلمين كافة واعتبارهم محل اتهام ومصدر خوف وقلق ، فضلاً عن الحرج والارتباك الذي تعرضت له الدول الإسلامية ومنظماتها وشعوبها أمام الدول والشعوب التي تربطها بنا علاقات تعاون ، حيث كادت هذه العلاقات تهتز وتتراجع في إطار موجة من الضيق بالمسلمين والتحامل عليهم جراء هذه الجرائم الإرهابية) .

فلما تجاوز الإنسان حدوده التي رسمها الله سبحانه وتعالى لقضاء الحياة في هذه الدنيا ، ولما زعم أنه يملك القوة والقدرة ، وأنه وجود مستقل بنفسه دون غيره ، صدرت منه أمور شاذة لا ترتبط بقانون ولا شريعة ، وهو يعتقد أنه يملك الحرية الكاملة في كل شأن ، وليس لأحد أن يأمره وينهاه ، أو يحول دون تحقيق رغباته ، وعند ذاك يبرر لنفسه كل ما ينافي العقل والأدب ومكانته التي أوتيها من الخالق جل وعلا القائل في كتابه :

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا) (الإسراء/٧٠) .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٦/٥/١٢هـ

٢٠١٥/٣/٤م

التوجيه الإسلامي:

الإسلام يدعو إلى العلم و يحترم العلماء

بقلم : فضيلة الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

يتميز الدين الإسلامي الحنيف بمرونة تحببه إلى النفوس البشرية العاقلة ، و إذا كانت بعض فترات من التاريخ كفترات عالمنا المعاصر نسب الإسلام فيها ظلما إلى الجمود و التخلف و الانحطاط ، فإن ذلك لم يكن للإسلام ذنب فيه ،و إنما الذنب في اختلاف أبنائه طوائف وشيعاً ، فالذنب إذا كان ذنب المسلمين الذين جمدوا وتحجروا ، فالتصقت التهمة بالإسلام دون الجامدين من أبناء الإسلام ، و كيف يكون هذا الدين القيم جامداً و هو الصالح لكل زمان و مكان ؟ وآية ذلك أنه يعترف بالعقل السليم و يقدسه ، و هو في ذلك الوحيد بين الأديان جميعا ، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " **ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى و يرده عن ردى ، و ما تم إيمان عبد و لا استقام دينه حتى يكمل عقله** " و قال أيضا عليه الصلاة والسلام : " **لكل شيء دعامة ، و دعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته ، أما سمعتم قول الفجار في النار : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** " و قال أيضاً صلى الله عليه و سلم : " **أول ما خلق الله العقل فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر** " ثم قال له عز و جل: " **و عزتي و جلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك ، بك آخذ و بك أعطي و بك أثيب و بك أعاقب** " .

و العقل المقصود هنا هو عقل الإنسان بطبيعة الحال ، و من هنا كان الإسلام معظماً للعقل حافظاً له قدره ، باعتباره محققا للعدالة السماوية منفذا للإرادة الإلهية .

و في الوقت الذي يحتفظ فيه الإسلام للعقل الإنساني بمكانته السامية لا يفتأ يذكره بقوة الخالق و عظمته موجها إليه الخطاب في سورة إبراهيم عليه السلام : " **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ**

فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ " (٣٢ – ٣٤) .

و هنا يفتح كتاب الكون على مصراعيه ، يفتح أمام الكيس العاقل ، اللبيب الحاذق ، فتنطق سطوره الهائلة بنعم الله التي لا تحصى ، وتتوالى صفحاته الضخمة الفسيحة بألوان هذه النعم على مد البصر ، هذه الصفحات الكونية المعروضة على الأنظار ، و لكن البشر في جاهليتهم لا ينظرون و لا يقرأون و لا يتدبرون و لا يشكرون .

" **إن الإنسان لظلوم كفار** " (إبراهيم /٣٣) ، أجل يبدل نعمة الله كفراً و يجعل لله أنداداً و هو الخالق الرازق المسخر الكون كله لهذا الإنسان .

لا تفريط و لا إفراط ، لله ملكه وعظمته ، و للعقل الإنساني تقديره ومكانته ، ولم يقف الإسلام من العلم إلا موقف التقدير والإعظام ، و حض المسلمين على طلبه والاغتراب في سبيل تحصيله ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله في سورة الزمر : " **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** " ٩ ، و في سورة طه : " **وقل رب زدني علما**" ١١٤ ، و السنة النبوية بدورها تدعو إلى العلم و ترفع من منزلة العلماء ، قال رسول الله صلى الله و سلم في الصحاح : " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** " . و قال أيضا عليه الصلاة والسلام : " **من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**".

فالعلم الحق هو المعرفة ، هو إدراك الحق و تفتح البصيرة وهو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود و ليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن ، و لا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى ، و لا تمتد وراء الظاهر المحسوس ، و هذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة ، هذا هو القنوت لله و حساسية القلب و استشعار الحذر من الآخرة و التطلع إلى رحمة الله و فضله و مراقبة الله هذه المراقبة الواجفة الخاشعة ، هذا هو الطريق ، و من ثم يدرك اللب و يعرف وينتفع بما يرى وما يسمع و ما يجرب ، و ينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات و التجارب الصغيرة ، و أما الذين يقفون عند

حدود التجارب المفردة و المشاهدات الظاهرة فهم فقط جامعو معلومات وليسوا بالعلماء .

ثم اعلم أن العلم الذي يقصده القرآن و الحديث الشريف هنا ، ليس كما يزعم البعض ، العلوم الدينية وحدها ، و لكنها المعرفة على الإطلاق بمختلف آفاقها و فنونها و ميادينها ، حتى إن الرسول صلى الله عليه و سلم في بعض أحاديثه المباركة يحض على طلب العلم (**من المهد إلى اللحد**) فالعلم المقصود هنا هو العلم بمفهومه العام من فلسفة و طب و هندسة و كيمياء و رياضية ، و فيزياء و علوم الطبيعة بأنواعها و علوم الإنسان وغيرها .

و الإسلام يؤمن بالعلم و العلماء حيث كرمهم ربهم جل علاه في قوله في سورة فاطر : " **إنما يخشى الله من عباده العلماء** " (٢٨) .

و العلماء كما قلنا هم الذين يتدبرون كتاب الكون العجيب ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية ، يعرفونه بآثار صنعته ، و يدركونه بآثار قدرته و يستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه ، ومن ثم يخشونه حقاً و يتقونه حقاً و يعبدونه حقاً ، لا بالشعور الغامض الذي يجده القلب أمام روعة الكون ، و لكن بالمعرفة الدقيقة و العلم المباشر . فهؤلاء هم الذين مدحهم الله في كتابه بقوله : " **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**" (آل عمران ١٩٠ – ١٩١) .

و إن المنصفين من المؤرخين و المثقفين الأجانب يعترفون بأن الإسلام في عصوره الذهبية كان الحفيظ الوحيد على تراث الفلسفة اليونانية ، بل إن الفلاسفة المسلمين قد أقبلوا على هذه الفلسفة وهضموها و زادوا عليها ، من أمثال الفارابي و ابن سينا في المشرق و ابن رشد و ابن الطفيل في الأندلس ، هذا فضلا من أن الإسلام حافظ على حضارة الفرس و حكمة الهند ، و انتفع بها المسلمون بعد أن ترجموها عن لغاتها الأصلية وأخذوا منها ما يتلاءم مع عقيدتهم الحنيفية السمحة .

و الأمر الذي لا شك فيه أن الإسلام قد مدّن العرب ووسع مداركهم ، بل مدّن كل الشعوب التي استضاءت بنوره و انتفعت بهدايته

في أنحاء الأرض ، من حدود الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً إلى الأندلس شمالاً ، و قد كان أبناء الأوروبيين يفدون على جامعاته في الأندلس و يتعلمون العربية أولاً ثم يتتلمذون على العلماء المسلمين ، في الوقت الذي كانت جامعات الإسلام في الأندلس و بغداد منارة العلم وراية العرفان .

و الإسلام هو دين السماحة يحترم العلم و العلماء سواء كانوا مسلمين أو نصارى أو يهودا أو حتى من المجوس ، فقد كان جيورجيس بن بختيشوع الفيلسوف الطبيب النصراني من أقرب العلماء إلى قلب المنصور، الخليفة العباسي ، كما كان نوبخت و ولده سهل الفارسيان المجوسيان من أقرب الناس إليه ،و كانا منجمين، و قد أسلمت ذرية سهل فيما بعد، و قد وكل الخليفة الرشيد إلى يوحنا ابن ماسويه ديوان الترجمة ، وظل في خدمة الخلفاء العباسيين حتى عهد المتوكل ، و أمّا المأمون فقد ولّى يوحنا البطريق أمانة ديوان الترجمة ، كما قرب إليه سهل بن سابور و ابنه سابور ابن سهل ، و كانا فيلسوفين طبيبين نصرانيين .

و الأمثلة على تشجيع الإسلام للعلم و احتضان الخلفاء للعلماء من كل دين و ملة ، كثيرة عديدة يصعب حصرها ، و يقف الإسلام من العلوم المختلفة و يقف العلماء المسلمون منها موقف المحافظ عليها ، الأمين على كنوزها في الوقت الذي كان يفتي الباباوات في أوربا بحرمان العلماء حيناً و حرقهم بالنار أحيانا أخرى .

فأين منزلة أمتنا المجيدة اليوم ؟ فهل بقيت على ما كان عليه أسلافها كدعاة حب و سلام ورواد نهضة أم أخذت مكان الذين كانوا يعتبرون العلم وسوسة شيطانية و بدعة دينية يجب محاربتها بكل الوسائل؟ فالشعائر لا تسمن و لا تغني من جوع ، فبداية كل نهضة في احترام العلم و أهله و بذل الأموال في سبيل تحصيله و استخراج كنوزه من رياضه ، وقد صدق من قال :

العلم يبني بيوتا لا عماد لها
و الجهل يخرب بيوت العز و الشرف

اللهم ألهمنا الصواب و ارزقنا حسن الختام . آمين

شرح قصيدة
الكواكب الدرية في مدح خير البرية
المعروفة "بالبردة" للإمام الأكبر
الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر

(الحلقة السادسة عشرة)

بقلم: الأستاذ الدكتور/غريب جمعة
جدة_ المملكة العربية السعودية

راعت قلوب العدا أنباء بعثته
كنبئة أجفلت غفلاً من الغنم (١١٩)

(١١٩) قوله " راعت " إلخ أفزعت ، وهذه الجملة مستأنفة ، وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت ، لكن على تقدير مضاف ، أي أصحاب قلوب ، ويحتمل أنه سمى الذوات بالقلوب ، فيكون قد عبر باسم الجزء ، وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل ، والعدا : بالكسر والقصر جمع عدو ، والمراد بهم الكفار ، وأنباء بعثته : بالرفع فاعل مؤخر لراعت ، ولا يخفى أن إسناد راعت إلى أنباء البعثة من المجاز العقلي، لأن موجد الروع في القلوب هو الله تعالى ، وأنباء بعثته إنما هي سبب ، فهو من إسناد الفعل إلى سببه ، والمراد بأنباء بعثته أخبارها التي صدرت عن الكهان والأحبار وغيرهم ، كقولهم : إنه سيظهر دين يغلب كل دين ، وإنما أفزعتهم لغفلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد ، ولو كانوا ملتفتين إليها ما فزعوا منها ، وقوله " كنبئة " أي مثل نبئة أي زأرة الأسد، التي هي صوته ، وجملة أجفلت بالجيم والفاء ، أي أفزعت صفة لنبئة ، وغفلاً : بضم الغين وسكون الفاء جمع غافل ، وهو مفعول لأجفلت ، وقوله " من الغنم " بيان لغفلا مشوب بتبعيض ، وإنما كانت غفلا لكونها رائعة في ربيعها مشتغلة في أكلها وشهواتها ، فأجفلها ذلك الصوت وفرقها .

ما زال يلقاهم في كل معترك
حتى حكوا بالقنا لحماً على وضم (١٢٠)

(١٢٠) قوله " ما زال " إلخ أي لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله تارة أخرى ، وفي كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ، ويلقاهم بالإشباع (أي بإشباع ضمة الميم) والجار والمجرور متعلقان به ، والمعترك بفتح الراء محل الاعتراك ، أي الازدحام للحرب ، وقوله " حتى " غاية لقوله " ما زال يلقاهم في كل معترك " وقوله " حكوا " بفتح الكاف ، لأن أصله حكيوا قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ومعنى حكوا : شابهوا ، وقوله " بالقنا " أي بطعن القنا ، فهو على تقدير مضاف ، والباء للسببية ، أي بسبب طعنهم بالقنا ، وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ، ورميهم بالنبل ، والقنا : جمع قناة ، وهي الرمح ، ولحما : مفعول لقوله حكوا ، وقوله " على وضم " متعلق بمحذوف صفة للحماً ، والوضم بالضاد المعجمة ما يضع القصاب اللحم عليه ، معدا لمن يأخذه ، وهو المسمى بالطبلية ، وقيل : إنه الحديد الذي يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل ، وحاصل المعنى : أنه صلى الله عليه وسلم ما زال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لأكل السباع والطيور لحومهم ، ويقال للذليل الحقير : " لحم على وضم " بطريق الاستعارة ويحتمل أن يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة .

ودوا الفرار فكادوا يغبطون به
أشلاء شالت مع العقبان والرخم (١٢١)

(١٢١) قوله " ودوا الفرار " إلخ ، أي تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم ، وإنما تمنوه مع أنه أقبح الخصال وأذمها عند العرب ، فإنه من أفعال اللئام ، وما كانوا يرضون به فضلاً عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ، ولما كثرت ودادتهم للفرار ، وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ، ولات حين فرار لهم من غضب الله تعالى الذي حل بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم و يد المؤمنين ، نزّل هربهم منزلة المحال الذي لا ينال إلا بالتمني ، وقوله " فكادوا يغبطون به " إلخ ، أي فلتمنيهم ذلك قربوا من أن يغبطوا بذلك الفرار أشلاء : على وزن أشياء أي أعضاء شالت أي ارتفعت حال كونها مع العقبان (بكسر العين) جمع عقاب (طائر ، جمعه أعقب و عقبان) ومع الرخم جمع رخمة ، وهي نوع من الطير أيضاً وإنما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون غيرهما ، والغبطة هي

تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره ، فكأنهم يقولون : يا ليت لنا مثل ما لأعضاء اللحم التي ارتفعت مع العقبان والرخم إلى منازلها ، وأشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو العضو من اللحم ، وإنما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التي ارتفعت بها لما بينهم وبين تلك الأعضاء من المشابهة ، لأنهم لا حركة لهم ولا قوة بسبب طعن القنا وغيره ، فحالتهم كحالة الأعضاء لا كحالة العقبان والرخم .

تمضي الليالي ولا يدرون عدَّتها
ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم (١٢٢)

(١٢٢) قوله " تمضي الليالي " إلخ أي تمر عليهم الليالي بأيامها ، والحال أنهم لا يعلمون عددها من شدة ما دخل قلوبهم من الفزع ، وخامر بواطنهم من الهلع بسبب جهاد النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم ، فيسكرون من الخوف ، وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم ، فلا يدرون عدة الأيام بلياليها ، و علم مما تقرر أن الواو في قوله " ولا يدرون عدتها " واو الحال ، وقوله " ما لم تكن من ليالي الأشهر الحرم " أي ما لم تكن تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم التي هي : ذوالقعدة و ذوالحجة و المحرم و رجب ، بخلاف ما إذا كانت تلك الليالي من ليالي الأشهر الحرم المذكورة ، فإنها تمضي عليهم ويدرون عدتها ، لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع إليهم عقولهم ، ويوجد لهم تمييزهم ، لإمساك النبي والمؤمنين عن جهادهم في الأشهر الحرم في صدر الإسلام عند من رأى منع قتالهم فيها نُسخ ، وقال عطاء : لم ينسخ وهو ضعيف ، وما ذكرناه في عدة الأشهر الحرم هو الصحيح ، وقيل : هي المحرم و رجب و ذوالقعدة و ذوالحجة ، وعلى الأول فهي من سنتين ، وعلى الثاني فهي من سنة ، ويترتب على الخلاف ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الأول ذاالقعدة أولا إلى آخرها ، ويصوم على الثاني المحرم إلى آخرها .

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم
بكل قرم إلى العدا قرم (١٢٣)

(١٢٣) قوله " كأنما الدين " إلخ أي كأنما دين الإسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار ، فالضمير في ساحتهم عائد على الكفار كما قال بعض الشارحين ، وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة ، فالضمير في

ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين ، وهو المسموع من المشايخ، وقوله " بكل قرم " بفتح القاف وسكون الراء ، أي مع كل شجاع ، لأن هذا الضيف الذي وقع التشبيه به شجاع ، فلذا نزل مع شجعان أمثاله ، فالباء بمعنى " مع " والقرم بفتح فسكون : الشجاع ، وقوله " إلى لحم العدا قرم " بفتح القاف وكسر الراء ، أي شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين ، فالقرم بفتح فكسر : شديد الشهوة ، والجار والمجرور متعلق به ، وحاصل المعنى ، على جعل الضمير في ساحتهم عائدا على الكفار ، كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين ، ومن شأن الضيوف إذا كانوا كراماً أن يشبعوا عند المضيف لهم مما يشتهون ، وفيه – على هذا – إقامة الظاهر مقام المضمر ، وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول إلى لحمهم ، ونكتته التصريح بوصف العداوة للمسلمين ، وحاصل المعنى على جعل الضمير في ساحتهم راجعاً إلى الصحابة كأنما دين الإسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة إلى لحم العدا للمسلمين ، ومن شأن المضيف أن يشبع ضيوفه مما يشتهون ، وعلى كل فالغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل في الكفار .

يجر بحر خميس فوق سابحة

يرمي بموج من الأبطال ملتطم (١٢٤)

(١٢٤) قوله " يجر " أي يستتبع هذا القرم (بفتح القاف وسكون الراء) الذي هو الشجاع ، فالمراد بالجر هنا الاستتباع ، فيكون قد شبه الاستتباع بالجر ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ، ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ، ويحتمل أنه شبه الخميس الذي هو كالبحر بدابة تجرير سن ، تشبيها مضمراً في النفس ، وحذف اسم المشبه به ورمز إليه بشيئ من لوازمه وهو الجر ، فهو تخييل للاستعارة بالكناية ، وقوله " بحر خميس " أي خميس كالبحر في تموجه وإهلاكه للكفار فهو من إضافة المشبه به للمشبه ، والخميس هو الجيش العظيم سمي بذلك لأنه مركب من خمس قوائم : مقدمة ، وميمنة ، وميسرة ، وقلب ، وساقة ، وقوله " فوق سابحة " أي كائن فوق خيل سابحة أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر ، وقوله " يرمي بموج " إلخ صفة للخميس ، والمراد

بالموج ما يصل إلى الكفار من الطعن والقتل وغيرهما ، فيكون قد شبه هذا بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح ، وقوله " من الأبطال " أي صادر ذلك الموج من الأبطال ، ولم يقل منهم مع أن الأبطال نفس الجيش لإفادة أن ذلك الجيش كله أبطال ، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع وقول " ملتطم " صفة الموج أي ملتطم بعض ببعض .

من كل منتدب لله محتسب
يسطو بمستأصل للكفر مصطلم (١٢٥)

(١٢٥) قوله " من كل منتدب " إلخ الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله أي من كل مجيب إلخ ، فالمنتدب بكسر الدال على أنه اسم فاعل، وضبطه بعض الشروح بفتحها ، على أنه اسم مفعول بمعنى مدعو وعلى كل فقوله " لله " متعلق به ، وقوله " محتسباً " أي مدخر ثواب عمله عند الله ، وقوله " يسطو " أي يصول ، وقوله " بمستأصل للكفر " أي بآلة مستأصلة لأهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال ، أي مزيل لهم من أصلهم ، يقال : استأصله إذا أزاله من أصله ، وقوله " مصطلم " أي مهلك لهم ، يقال اصطلمه إذا أهلكه ، وفي الصحاح : الاصطلام الاستئصال وعليه فهو توكيد .

حتى غدت ملة الإسلام وهي بهم
من بعد غربتها موصولة الرحم (١٢٦)

(١٢٦) قوله " حتى غدت " إلخ أي وما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر إلى أن غدت إلخ فهو غاية لمحذوف ، وغدت بمعنى صارت ، وهو بالغين المعجمة ، وقوله ملة الإسلام " أي ملة هي الإسلام فالإضافة في ذلك من إضافة الأعم إلى الأخص ، لأن الملة تشمل سائر الأديان ، وقوله " وهي بهم " أي وهي مصحوبة بالصحابة ، والجملة اعتراضية بين اسم " غدت " وهو " ملة الإسلام " وخبرها وهو " موصولة الرحم " ، وقوله " من بعد غربتها " متعلق بغدت بمعنى صارت ، والمراد بغربتها عدم شهرتها لقلة من ينتمي إليها ، وقوله موصولة الرحم بالنصب ، على أنه خبر لغدت كما علمت ، والمراد بكونها موصولة الرحم كثر القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمي إليها ويدخل فيها ، وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصل الرحم ، واستعار المشبه به للمشبه وأشار بذلك إلى حديث مسلم " بدأ

الإسلام غريباً [1] ، أي ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم .

مكفولة أبداً منهم بخير أب
وخير بعل فلم تيتم ولم تئم (١٢٧)

---

[1] قال المحقق – يرحمه الله – : رواه مسلم عن أبي هريرة ، والترمذي وابن ماجه ، عن عبد الله بن مسعود وابن ماجه عن أنس والطبراني عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس .
وروى البيهقي في شعب الإيمان عن شريح بن عبيد مرسلاً " إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ، فطوبى للغرباء ، ألا إنه لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ، رواه ابن جرير وابن أبي الدنيا إلا أن في روايتهما ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فما بكت عليهم السماء والأرض) ثم قال : (إنهما لا يبكيان على كافر) وهو مروي عن كثيرهم : أنس ، وجابر ، وسعد بن أبي وقاص ، وسهل بن سعد وسلمان وابن عباس وابن عمر ، وابن مسعود وعمر ، وعلي ، وعمرو بن عوف ، وواثلة ، وأبي أمامة وأبي الدرداء وأبي سعيد وأبي موسى وغيرهم فهو مشهور أو متواتر ، كذا من " كشف الخفاء للعجلوني " .
إضافة لا بد منها : ويقول الفقير كاتب هذه السطور :
قال النووي – رحمه الله – في شرح مسلم " بدأ الإسلام غريباً " كذا ضبطناه " بدأ " بالهمزة من الابتداء ، " وطوبى " فعلى من الطيب ، قال الفراء : وإنما جاءت الواو لضمة الطاء ، قال : وفيها لغتان : تقول العرب : طوباك ، وطوبى لك . وأما معنى " طوبى " فاختلف المفسرون في معنى قوله تعالى " طوبى لهم " (الرعد : ٢٩) فروي عن ابن عباس أن معناه : فرح وقرة عين ، وقال عكرمة : نعمى لهم ، وقال الضحاك: غبطة لهم ، وقال قتادة : حسنى لهم ، وعن قتادة أيضاً أصابوا خيراً : وقال إبراهيم : خير لهم وكرامة ، وقال عجلان : دوام الخير وقيل : الجنة ، وقيل : شجرة في الجنة ، وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث .
وقال القاضي عياض : روى ابن أبي أويس عن مالك : معنى بدأ غريباً ، أي بدأ الإسلام غريباً في المدينة وسيعود إليها .
وظاهر الحديث العموم ، وأن الإسلام بدأ في أحاد الناس وقلة ، ثم انتشر وظهر ثم سيلحق أهله النقص والاختلاف ، حتى لا يبقى إلا في أحاد وقلة أيضاً كما بدأ .
وجاء في الحديث تفسير الغرباء : " هم النُّزَّاع (بضم النون وتشديدها) من القبائل " قال الهروي : أراد بذلك المهاجرين الذين هجروا أوطانهم لله تعالى .
وللحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة قيمة استوفى فيها شرح هذا الحديث سماها " كشف الكربة في وصف أهل الغربة " .
والحديث رواه مسلم (١٤٥) في الإيمان : باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦) في الفتن : باب بدأ الإسلام غريباً ، وأحمد في مسنده ٢ / ٣٨٩ (٨٨١٢) .
(جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم للإمام المبارك محمد بن الأثير الجزري ، وتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ومساعديه – دار ابن كثير – الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ، المجلد الأول) .

(١٢٧) قوله " مكفولة " إلخ أي محفوظة ، وهو خبر تام لغدت ، وقوله " أبداً " ظرف لقوله مكفولة ، وقوله " منهم " أي من الكفار ، وقوله " بخير أب ، وخير بعل " هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه أشفق على أمته من الأب على عياله ، وأقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ، [1] ومثله من يقوم مقامه صلى الله عليه وسلم من الخلفاء الراشدين ، والعلماء المهديين ، ولا شك أن المرأة التي كفلها خير أب وخير بعل في غاية من المكانة ورفاهية من العيش ، وقوله " فلم تيتم " (بفتح التاءين وسكون الهمزة المثناة التحتية بينهما) أي من جهة الأب ، وقوله " ولم تئم " بفتح التاء وكسر الهمزة أي من جهة البعل ففي ذلك لف ونشر مرتب . يقال : يتم الولد بكسر التاء ييتم بفتحها إذا مات أبوه وهو صغير . ويقال : آمت المرأة تئيم على وزن باعت تبيع إذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم) (النور : ٣٢) . (البحث موصول إن شاء الله)

---

[1] يقول المحقق – رحمه الله تعالى – :
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولى بالمؤمنين في كتاب الله فأيكم ما ترك ديناً أو ضيعة فادعوني فأنا وليه ، وأيكم ما ترك مالاً فليؤثر لعصبته من كان " (رواه مسلم) .
ويشير بقوله في كتاب الله إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب الآية ٦ (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) .
ويقول كاتب هذه السطور : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أرأف بجماعة المؤمنين من أمته وأعطف عليهم من أنفسهم ، إذ هو يدعوهم إلى النجاة وأنفسهم تدعوهم إلى الهلاك كما قال صلى الله عليه وسلم : " فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش " (رواه مسلم) .
ولأنه ينزل لهم منزلة الأب، فالنفس قد تأمر بالسوء ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا يأمر إلا بالخير ولا ينطق إلا بالوحي.
وقد أزال الله بها أحكاماً كانت في صدر الإسلام ، منها : أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال كما جاء في الصحيحين : " أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه ، ومن ترك مالاً فلورثته " وفي الصحيحين أيضا : " فأيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه " ، والضياع : مصدر ضاع ، ثم جُعل اسماً لكل ما يتعرض للضياع من عيال وبنين لا كافل لهم ، ومال لا قيّم له ، وسميت الأرض ضيعة لأنها معرضة للضياع وتجمع ضياعاً .
قال بعض العلماء : يجب على الإمام أن يقضي من بيت المال دين الفقراء اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فإنه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث قال : " فعليّ قضاؤه " . والله أعلم بأسرار كتابه . (بتصرف من التفسير المنير ، د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١١ ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ، المجلد الحادي عشر)

تصور الحرب في الهندوسية والبوذية

الدكتور نسيم أختر الندوي
الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية، الجامعة الملية الإسلامية نيودلهي

الهندوسية ، التي تُعرَف كثقافة دون ديانة ، لاتزال تتغير باختلاف الزمان والمكان . كما تغيرت مرتبة بعض الآلهة فيها بمرور الأيام . واحتل الكثير من الآلهة الجدد مكانة مرموقة ، ولو أنهم كانوا غير مشهورين في الزمن القديم ، مثلاً كان الإله فيشنو أقل أهمية[1] في عصر الفيدا (من ١٥٠٠ قبل الميلاد إلى ٦٠٠ قبل الميلاد) ، ثم تغير اسمه في ٢٠٠ ق م ، وأصبح معروفاً باسم " نارايائن فيشنو بعد أن اندمج في ذات الإله نارائن الذي كان إلهاً من قبيلة خارجة من قبائل عصر الفيدا . ثم انضم فيشنو إلى شيفا وبرهما حتى القرن السادس الميلادي . والجدير بالذكر أن فيشنو أصبح أشهر من الاثنين الآخرين اللذين كانا قد احتلا أرفع مكانة من قبل[2] . وكذلك نالت بعض الإلاهات ومعظمهن غير الآريات قبولاً في عصر غوبتا (٣١٩ م - ٥٥٠م على وجه التقريب) ، وحصل هذا أول مرة في تاريخ الهند ذاك أن الإناث احتللن مكانة المعبودات، مع أن تصور الإلاهات الأمهات كان موجوداً في كل زمان في الهند ، ولكن ما كانت لهن هوية واضحة معترف بها لدى البراهمة قبل عصر غوبتا ، ثم جاءت شيري أو شيري لكشمي إلى حيز الوجود ، وأصبحت معروفة بإلهة الثروة والترف وزوجة فيشنو ، كما أصبحت " بارفاتي " زوجة شيفا[3] .

[1] تاريخ الهند القديمة، لمدارس الثانوية العامة، رام شرن شرما ، المجلس القومي للبحوث التعليمية والتربية، (NCERT) ، ١٩٩٠م، ص ٢٢١.
[2] نفس المرجع ص: ٢٢٢ - ٢٢٣
[3] D.N.Jha, Ancient India , People's Publishing House, New Delhi, VIIth Edition, 1993, p.107

وتُوجد في المجتمع الهندوسي تقاليد متنوعة ، فيمكن أن يكون تقليد واحد محترماً لدى مجموعة ، ومكروهاً لدى مجموعة أخرى ، مثلاً "لا يتزوج هندوسي من "الطبقات الأعلى" من ابنة عمه أو خاله في شمال الهند ، ولكن الأحب لدى أغلبية الهندوس المعروفة بقبيلة " لنغايتا" في ولاية كرناتكا بجنوب الهند أن يتزوج شخص من ابنة أخته . والجدير بالذكر أن الطبقات المتخلفة المعروفة في الكتب القديمة نحو منوسمرتي باسم" شودرا" - وهي في الأغلبية بالهند- قد بدأت تقول إنها ليست هندوسية"[1] . علماً بأن هذه الجماعة تقدّس زعيمها الكبير بابا بهيم راؤ أمبيدكر ، الذي كان رئيس لجنة وضع الدستور الهندي ، المؤلف.بعد الاستقلال في عام ١٩٤٧م ، والذي كان قد اعتنق البوذية .

والمقصود من هذا الحديث الطويل أن التفاوت الطبقي المجحف[2] واختلاف النظريات الدينية بين الهندوس قد يخلق صعوبة لأي كاتب يريد أن يستنبط أي نتيجة من الكتب الهندوسية الدينية حول أي موضوع ديني أو اجتماعي . ولكن قد برزت أهمية بعض الكتب الدينية القديمة في العصر الحديث ، وهي ثلاثة : أربعة كتب من سلسلة الفيدا ، وغيتا ، ومنوسمرتي . وأربعة كتب من فيدا : هي ريغ فيدا ، يجرفيدا ، سام فيدا

---

[1] By V.T Rajshekar & Yoginder Sikand , 'Dalit Voice' Speaks Out, Dalit Voice,14 th February 2005,
http://www.countercurrents.org/dalit-sikand140205.htm

[2] قبل ميلاد المسيح بثلاثة قرون ازدهرت في الهند الحضارة البرهمية ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندي ، وألف فيه قانون مدني وسياسي اتفقت عليه البلاد وأصبح قانوناً رسمياً ومرجعاً دينياً في حياة البلاد ومدنيتها وهو المعروف الآن بـ " منوشاستر" ويقسم هذا القانون أهل البلاد إلى أربع طبقات ممتازة وهي (١) البراهمة، طبقة الكهنة رجال الدين (٢) شتري: رجال الحرب (٣) ويش: رجال الزراعة والتجارة (٤) شودر: رجال الخدمة ويقول (منو) مؤلف هذا القانون: " إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم، البراهمة من فمه، وشتري من سواعده، وويش في أفخاذه، والشودر من أرجله(أبو الحسن علي الحسني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الطبعة الثانية، ٢٠٠١ عام، ص ٨٧)

وأترفيدا . والفيدا معناه المعرفة ، ويعتقد الهندوس بأن هذه الكتب ألفها العديد من الكهنة والزهاد الذين حصلوا على المعلومات والتوجيهات من الله مباشرة .

نجد في ريغ فيدا كثيراً من التراتيل التي تبدو منها "رغبات الحصول على الأموال والغنائم[1] ، ويُوجد فيها حديث إفزاع وإزعاج الأعداء[2] ، كما نجد فيها كثرة أدعية على الأعداء ، وهي تتضمن معاني قتل الأعداء وتدميرهم ، مثلاً يقول ريغ فيدا :

" يا إندرا! إذا دارت رحى الحرب فدمّر أعداءنا الذين لهم فناء ، وهم يهجوننا"[3] ، ويقول " أي مينو! اقتُلْ أعداءنا ، وقسّم أملاكهم ، وقم بإثبات مظاهر قوتك ، وشتّت من يكرهوننا ، واغلب عليهم ، ومزّقهم تمزيقاً ، وقتّلهم تقتيلا"[4] ، و" اقتُلْهم وائتِ بأملاكهم إلينا ."[5]

ويقول يجرفيدا : .

" يا إله النار! اجعل العصابات التي تقاومنا مقهورة ، واطرد أعداءنا ، يا "أجيت" اقتل من لا يؤمن بآلهتنا وأكرم من يعبدك بالكرامة وارفع شأنهم" [6]

وتحتوي العديد من تراتيل ريغ فيدا على معنى قتل الأعداء بالإحراق، فيقول ريغ فيدا : " يا إله النار! أحرِق من يهاجمنا ، ويضر جارنا ، بشعلة ملتهبة دائمة"[7]

ويقول يجرفيدا :

---

١ ريغ فيدا، ٢، ١: ٨: ١، و١: ١٧: ٦، ٧، و١: ٥٣، ٤، و ٥ ،و ١ :٥٤: ١ ١، و١: ١٠٠: ١٨: ١٩ نقلاعن "الجهاد في الإسلام" لأبي الأعلى المودودي باللغة الأردية، مركزي مكتبة إسلامي ببليشرز، نيودلهي، ٢٠١٣، ص ٢٨٨- ٢٩٤

٢ ريغ فيدا، ٨ : ٦٤ : ١٠- ١١ نقلا عن المرجع نفسه ص ٢٩٤.

٣ ريغ فيدا، ٧ : ٢٥: ٢ - ٣ - ٥ - ٦ نقلا عن المرجع نفسه ص ٢٩٣

٤ ريغ فيدا، ١٠ : ٨٤: ٢ — ٣

٥ ريغ فيدا، ٢ : ٣ : ١٠ نقلا عن "الجهاد في الإسلام" لأبي الأعلى المودودي ، ص ٢٩١

٦ يجر فيدا، ٩، ٣٧ نقلا عن المرجع نفسه ص ٢٩٥

٧ ريغ فيدا ، ٦ : ٥: ٤- ٧، نقلا عن المرجع نفسه ص ٢٩١، وللمزيد انظر يجرفيدا، ١٣: ١٢: ١٣، و١٧: ٣٧ - ٣٨ - ٤٤ نقلا عن المرجع نفسه ص ٢٩٥- ٢٩٦

" وأحرق من ينوي أن يضرنا ، من ينظر إلينا بالكراهية ، ومن يوجّه اللوم إلينا ، ويؤذينا حتى أن يكونوا رماداً"[1]

ولا تكتفي كتب الفيدا ببيان قتل الأعداء بصورة بسيطة ، بل تبدي أقبح صورة للهلاك ، مثلاً يقول أترفيدا : ٢٩١

" أخرج أعين الآثمين من رؤوسهم"[2] ، ويقول : " وخيِّطْ أجسادهم في جلود الثيران"[3] ، ويقول : "اضرب أعناقهم ، تأكلهم نسور"[4] " وقُم بفصل جلودهم من أجسادهم ، وافصل عضلاتهم ، وكل قطعة من لحوم أبدانهم .

وليس من الأمور المستعصية في ضوء هذه التراتيل الوصول إلى نتيجة أن فيدا لا تحمل في طيها تعاليم خلقية سامية ، فهي تعزّز نظرية ماديّة جامحة ، وتستهدف الحروب لكثرة الحصول على الأموال والغنائم . وينوي المؤمنون بالفيدا بالقضاء على وجود أعدائهم نهائياً ، وذلك لأن الدين الفيدي لم يكن ديناً يدعو الآخرين من خارج سلالة الآريين ، فلم يكن من الممكن التعايش معهم . ويميّز الدين الفيدي بين أتباعه وأعدائه على أساس اللون ، والسلالة ، فيقول سام فيدا : " يا أيها الثائر الغاضب البرّاق اطرد هؤلاء السود مثل ما تُطرد الفحول"[5]

تصور الحرب في غيتا :

هذا الكتاب محترم جداً لدى الهندوس ، وذلك بسبب نسبتها إلى شري كريشنا ، الذي اشتهر في تاريخ الهند القديم كالإمام للهندوس والتجسد الإلهي؛ تجسد فيشنو الحافظ . ولو أن الكتاب يتناول بحثاً قيماً للتصوف ، ولكنه مليئ بالتوجيهات الحربية التي قام بها شري كريشنا ، ولا نبالغ إذا قلنا إن الفكرة الرئيسة لهذا الكتاب هي الحرب والقتال .

---

[1] يجر فيدا، ١١: ٨٠ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٢٩٥، وانظر أتر فيدا، ١ : ٧ : ٧، ٤: ٣٢ : ١ : ٣ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٢٩٨

[2] يجرفيدا، ١ : ٨: ٣ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٢٩٨

[3] المصدر نفسه ٦ : ٦٧ : ٣ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٢٩٨

[4] المصدر نفسه ، ٨: ٣ : ٦: ٧ : ١٠ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣٠٠

[5] سام فيدا، ٦ : ١ : ١ : ٥ : ٦ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٢٩٧

فنجد أن هذا الكتاب يسرد قصة حرب تاريخية وقعت في شمال الهند في منطقة هستنابور بين أسرتين : كورو وباندوا . وكان كريشنا واقفاً إلى جانب باندوا المحارب الجبار . والجدير بالذكر أن هاتين الأسرتين اللتين تربطهما صلة القرابة ، ووقف إلى الطرفين كثير من السلاطين والأمراء من كافة بلاد الهند . وكان أرجونا قائد أسرة باندوا وتلميذ كريشنا أيضاً ، فلمّا رأى أرجونا إخوانه وأقرباءه في ساحة القتال ، امتلأ قلبه بمشاعر الأخوة والرحمة ، وتردد في شن الحرب كي لا يقتل إخوانه بيده .حتى قال لكريشنا :

" وا أسفاه ، نحن قررنا أن نقترف خطيئة عظيمة في جهادنا لقتل شعبنا وأقربائنا نتيجةً للطمع في ملذّات مملكة أرضية ، أفضل أن يقتلني أبناء دْهْريتارشْترا بأسلحتهم ، دون أن أقاوم ، وأنا أعزل من السلاح في المعركة[1]"

فألقى كريشنا بتلك المناسبة كلمات توجيهية تحتوي على فلسفة الحرب وأبعادها ، وهي فيما بعد اشتهرت باسم بهاغافاد غيتا . نذكر فيما يلي بعض التوجيهات الحربية التي قام بها كرشنا أمام أرجونا :

قال الرب المبارك :" كيف يقترف هذا العيب في وقت التجربة ، رجلٌ شريفٌ مثلك يا أرْجونا؟ إن الرجل القوي لا يعرف اليأس الذي لا يربحه الجنة ولا الأرض . لا تفقد الشجاعة والرجولة يا بارتا (أرْجونا) ، هذا ما لا نتوقعه منك ، أُنفض عنك ضعف القلب الرديئ هذا ، وانتفض مثل النار الذي يحرق كل شيء أمامه[2]" .

استمع أرجونا إلى كلمة أستاذه ، ولكنه لم يتشجع على الخوض في المعركة ، وقال : " أفضّل أن أعيش متسوّلاً القوت في هذا العالم على أن أقتل ، طمعاً بمملكتي ، أسيادي الذين هم معلّميّ القديسين ، وأغنم

---

١ غيتا، الفصل الأول، ٤٥- ٤٦ ترجمة جميع نصوص بهاغفاد غيتا مأخوذة من موقع http://tmbulletin.com/bhagavadgita/ch18.htm، وقد قام بها الأستاذ سليم حداد، خبير في علوم وتكنولوجيا مهاريشي الفيدية ، أستاذ في تقنية التأمّل التجاوزي وعلم الذكاء الخلاق

٢ المصدر نفسه ، الفصل الثاني، ٢- ٣

بعد ذلك ملذّات ملطّخة بدمائهم في هذا العالم ، نحن لا نعرف ما هو الأفضل لنا : إذا نحن انتصرنا عليهم أم هم انتصروا علينا . إذا قتلنا أبناء دْهْريتارشْتْرا وهم واقفون في مواجهتنا ، يجب أن لا نتمنى أن نعيش بعد موتهم؟[1]

فرد عليه كريشنا قائلاً :

" حتى ولو اعتقدت أنه يولد ويموت باستمرار ، وبالرغم من ذلك ، أيها المسلّح الجبار ، عليك أن لا تحزن هكذا ، من المؤكد إن الموت لمن يولد ، والولادة لمن يموت ؛ وأمام هذا الأمر الواقع ، عليك أن لا تحزن"[2] .

فيرى غيتا أنه لا حرج في قتل شخص لأنه سيموت في يوم ما ، إما قتلته أنت أو يختطفه الموت . و يمكن أن نسأل هنا ، ما هو هدف الحرب في غيتا ؟ ، فنحن بعد دراسة هذا الكتاب نجد أن بهاغفاد غيتا لا يهدف إلى إعلاء كلمة المعبود ، أو نصر المستضعفين ، أو الدفاع عن العرض ، أو المال ، بل هو الحصول على الغنائم ، وإشباع الأنانية ، وكسب الشهرة ، والجاه ، وتجنب مخاوف الذل والهوان أمام الناس . وهذه الأهداف لا تختلف عن الأهداف المادية الجامحة للحروب في العصر الحديث . فها هي النصوص لبهاغفاد غيتا التي تبين أهداف الحرب :

" سعداء هم الكْشاتْريا ، يا بارْتا (أرْجونا) الذين يجدون ، ودون أي جهد ، معركة مثل هذه ، إنها باب مفتوح إلى الجنة[3] . ولكن بانسحابك الآن من هذه المعركة المتوافقة مع الدْهرْما ، تكون قد تخلّيت عن الدْهرْما عن واجبك المقدّس وعن شهرتك وشرفك ، وتكون قد اقترفت الخطيئة . وسينعتك الناس بهذا العار الآن وبعد حين ، إن ضياع الشهرة والشرف للرجل الشريف هما أسوأ من الموت"[4] .

وقال كريشنا : " سيعتقد المحاربون الكبار أنك هربت خوفاً من المعركة ، وأولئك الذين ينظرون إليك بالإكبار سيستصغرونك" . سيذلّك

---

١ المصدر نفسه ، الفصل الثاني، ٥- ٦

٢ المصدر نفسه ٢٦ - ٢٧

٣ المعتقد السائد هو أنه إذا استشهد الكْشاتريا في المعركة يكسب الجنة

٤ بهاغفاد غيتا، الفصل الثاني، ٣٢- ٣٤

أعدائك بكلمات شنيعة وسيستهزئون بقوتك . أيوجد أي شيء مؤلم لك أكثر من هذا ؟ ، باستشهادك ، ستدخل الجنة ؛ وبانتصارك مجدك في الأرض . لذلك قُم يا ابن كونتي ، وتأهب للحرب"[1] .

وقال كريشنا : " أنا الزمان الكلّي ، القوة الذي يدمر كل شيء، لقد أتيت إلى هنا كي أقتل هؤلاء الرجال . حتى ولو لم تحارب أنت ، إن جميع هؤلاء المحاربون المجابهون لك سيموتون . لذلك انهض! يا أرْجونا، واربح مجدك ، وتغلب على أعدائك وتمتع بمملكتك . نتيجة لقدر الكارما حكمت عليهم بالموت ، لذلك كن أداة مجردة لعملي"[2] .

ففي ضوء هذه التعاليم نصل إلى هذه النتيجة أن بهاغفاد غيتا لا تعلمنا أي شيء فوق المادة .

ماذا يقول منو شاستر عن الحرب ؟

منو شاستر كتاب قوانين الهندوسية ، تُوجد في تاريخ تدوينه آراء مختلفة ، فيقول وليم جونز : إنه دُوّن بين ١٢٥٠ حتى ٥٠٠ قبل الميلاد ، وطبقاً لتحقيق الدكتور برنل تم تدوين قوانين منو بين ١٠٠م إلى ٥٠٠م[3] ، وهو يشرح الفيدا ، ويفسر مبادئ الهندوسية وأسسها . ولا يُوجد أي كتاب أحسن من هذا للتعرف على قوانين الهندوسية . فلننظر ما هو تصور الحرب في منو شاستر؟ فهو يقول :

" قد فُرض على الملك الذي يعمل حسب دينه أن يفتح البلاد ، ولا ينعزل عن الحرب أبداً"[4] . ويقول :

" بعد أن يعدّ للانتصار ينبغي (للملك) أن يجعل المعارضين خاضعين له ، (وإذا لم يخضعوا طوعاً) فعليه أن يتخذ تدابير أخرى وهي: الرشوة ، والمؤامرة ، والقوة الحربية"[5]

فالمقصود واضح ، وهو توسيع حدود البلدان ، والهيمنة على

---

[1] المصدر نفسه، ٣٥ - ٣٦

[2] المصدر نفسه ، الفصل الحادي عشر، ٣٢ - ٣٣

[3] أبو الأعلى المودودي، الجهاد في الإسلام (الأردية)، ص ٣٠٩

[4] منو شاستر، ١٠: ١١٩ نقلا عن ا" الجهاد في الإسلام (الأردية)، ص ٣١١

[5] المصدر نفسه ، ٧: ١٠٧ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣٠

الآخرين وغيرها من الأهداف المادية . أما ضوابط الحرب المبيّنة في منو شاستر فبعضها قريبة من ضوابط الحرب عند الإسلام[1] ، ولكن يفرّق منو شاستر بين قوم وقوم آخر ، وتبني كثيراً من الأوامر على أساس العنصرية ، والعرقية .

تنظر قوانين منو إلى "شودرا" (رجل من الطبقة المنبوذة ، وهذا اللفظ يستخدم كالجمع أيضاً) بنظر البغض والكراهية . وتعتبرهم نجساً ، فتقول :

" من علّم شودرا ديناً ، وعلّمه كيفية أداء التقاليد الدينية ، يدخل الجحيم المسمى بـ " اسم ورت"[2]

وتقول :

"لا يُقرأ الفيدا أمام شودرا"[3] ، ولا يؤكل طعامه"[4] ، " إن طعامه يزيل النور الروحي" [5] ، و" من لمس " تشندال"[6] هو لا يتطهر إلا بالاستحمام"[7] ، ولا يكون شودرا حراً ولو أعتقه مولاه ، وذلك لأن الفطرة لا تتغير"[8] ، و"إذا أساء شودرا إلى " دويج"[9] ، فيُقطع لسانه ، لأنه قد وُلد من رجلي برهما"[10] ، وإذا أهانهم بأسمائهم أو بطبقاتهم فيُدخَل في حلقومه قضيب حديدي ملتهب ، وطوله عشر مرات بإصبع"[11] .

" ولا يجوز للملك حتى في أشد ساعات الاضطرار والفاقة أن يجبي من البراهمة جباية أو يأخذ منهم إتاوة ، ولا يصح لبرهمي في بلاده أن

---

١ للتفصيل انظر منو شاستر٧: ٩٠- ٩٣، و ٩٦، و ١٩٥ – ١٩٦.
٢ منو شاستر، ٤: ٨١ نقلا عن " الجهاد في الإسلام للأستاذ المودودي، ص ٣١٥
٣ المصدر نفسه ، ٤: ٩٩ نقلا عن المرجع نفسه.
٤ المصدر نفسه ، ٤: ٢١١ نقلا عن المرجع نفسه.
٥ المصدر نفسه : ٢١٨ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣١٦
٦ من وُلد من نطفة رجل من شودرا وامرأة برهمية هو يدعى " تشندال" (منو شاسترا، ١٠: ١٢ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣١٥)
٧ منو شاستر، ٥: ٨٥ نقلا عن المرجع نفسه، ص٣١٦
٨ نفس المصدر، ٨: ٤١٤ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣١٧
٩ برهمي، تشتري، فيشيا
١٠ منو شاسترا، ٨: ٢٧٠ نقلا عن المرجع نفسه، ص ٣١٨
١١ المصدر نفسه ، ٨: ٢٧١ نقلا عن المرجع نفسه.

يموت جوعا[1] ، وإن استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم إلا أن يحلق رأسه ، أما غيره فيقتل[2]" ، وإذا مدّ أحد من المنبوذين إلى برهمي يداً أو عصاً ليبطش به قطعت يده ، وإذا رفسه في غضب فدعت رجله[3] ، وإذا همّ أحد من المنبوذين أن يجالس برهمياً فعلى الملك أن يكوي إسته وينفيه من البلاد[4] ، وأما إذا مسّه بيد أو سبّه فيقتلع لسانه ، وإذا ادعى أنه يعلمه سُقي زيتاً فائراً[5] . وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء[6] .

هذه هي قوانين الفاتحين للمفتوحين في البرهمية ، التي مبنية على العنصرية العنيفة ، والعرقية المتطرفة . وقد ثبت من التحقيقات اللغوية والتاريخية أن شودرا كان اسماً لقبيلة هندية قديمة انتصر عليها الآريون . فمن خضع لحكومة الآريين كان يُسمّى بـ " شودرا" ، ومن حارب الآريين كان يسمّى " دسيو" أو " ملتشا"[7] .

الفصل الرابع : تصور الحرب في البوذية

ظهرت البوذية في القرن السادس قبل الميلاد ، وهي منسوبة إلى غوتم بوذا ، الذي كان تشترياً . فلما بلغ سن الرشد وجد أن المجتمع الهندي منقسم إلى أربع طبقات : برهمن ، وتشتريا ، وفيشيا وشودرا ، وهذا تقسيم غير عادل ، فالتمييز العنصري المتواجد في البرهمية كان عاملاً قوياً خلف بروز هذه الديانة في الهند . وكان من العوامل الأخرى خوف تقلص عدد

---

١ منو شاستر، الباب التاسع، نقلاً عن " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن علي الحسني الندوي، ص ٨٨

٢ المصدر نفسه ، الباب الثاني، نقلاً عن المرجع نفسه ، ص ٨٨

٣ المصدر نفسه ، الباب العاشر، نقلاً عن المرجع نفسه ، ص ٨٩

٤ المصدر نفسه، الباب الثامن، نقلاً عن المرجع نفسه، ص ٨٩

٥ المصدر نفسه ، ٨، ٢٧٢ ، نقلاً عن المرجع نفسه، ص ٨٩

٦ R.C. Dutt. ٣٤٢/٣٤٣

٧ Wilson, Indian Castes, Vol. I, p.111

(نقلاً عن الجهاد في الإسلام للأستاذ المودودي، المكتبة الإسلامية المركزية، نيودلهي ، أكتوبر ٢٠٠٣، ص ٣٧٥)

المواشي وخاصة الثيران في شمال شرق الهند ، والتي كانت تُحرث بها المزارع. وذلك بسبب تقليد تضحية الحيوانات في عدد لا بأس به في الديانة الآرية . فأصبحت قضية الحفاظ على الحيوانات قضية مهمة في ذلك العصر ، مما أدى إلى بروز العديد من الديانات أهمها البوذية والجينية .

ونكتفي هنا بذكر الأولى التي نالت قبولاً عاماً في العديد من البلدان الآسيوية نحو الهند ونيبال والصين واليابان وإندونيسيا وماليزيا ، ويشكل أتباعها الأغلبية السكانية في بورما ، وبوتان ، وتايلند ، وتايوان، وسريلانكا ، وسنغافورة ، وفيتنام ، وكمبوديا ، وكوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية ، ولاوس ومنغوليا . علماً أن البوذية قد تأثرت في الهند بالهندوسية ، وفي الصين بالكنفوشيوسية ، وفي اليابان بالشنتوية ، كما دخلت في بعض مذاهبها بعض تعاليم دينية للمسيحية والإسلام .

ولا شك أنها معروفة بمذهبها اللاعنفي . وتأمر بأن لا يُهلك أي شيء ذي روح[1] . وتُوجد فيها كثير من التعاليم الأخلاقية التي تغذّي الروح والعقل ، ولكنها أخفقت في إدراك مقصود خلق الإنسان في الدنيا . كما فشلت في تشجيع الناس على مواجهة الحقائق المرة للحياة بالجرأة . فالحياة عند البوذية عبث ، والدنيا مصدر الألم والحزن ، والتي وقع فيها الإنسان. فهي ليست مكاناً يعيش فيه الإنسان ، لأن جميع التحولات الدنيوية تصل في الأخير إلى الألم . والباعث الحقيقي للألم هو تواجد الرغبات والأمنيات في قلب الإنسان ، وهي التي يتقيد بها الإنسان دوماً . وبما أن الإنسان لا يتحرر من رغباته اللامحدودة ، هو يموت ثم يحيى ، وتتكرر حياته ومماته . فالحل الوحيد للتحرر من هذا الألم المستمر الوصول إلى الفناء الدائم ، وذلك عن طريق الحصول على " النيرفانا" .

وطبقاً لتحقيق الأستاذ المودودي إن تصور" نيرفانا" يُوجد فيه اختلاف المثقفين ، فهو عند بنسن ، وأولدن برك ورهس ديودس حالة روحية يجد فيها الإنسان نفسه مبرأة من معصية أو أمنية ، وغنية عن

---

[1] Vinaya Texts, Vol. I, p. 46, and pp. 298301
نقلاً عن المرجع نفسه

الحياة الدنيوية ، ومتمتعة بكامل الطمأنينة والسلامة . ولكن الباحثين أمثال ميكس مولر ، وشمست ، وهاردي ، و سان هيلير ، وبرناؤف لا يكتفون بهذا التعريف الغامض ، ويقولون بالوضوح إن " نيرفانا" هو كون الإنسان معدوماً أو التحرر من قيد الحياة نهائياً[1] . فالغاية القصوى عند البوذيين هي نجاة النفس من كلِّ ألم وغرور وإنَّ دور التناسخ الذي لا نهاية له ينتهي أو ينقطع بمنع النفس عن أن تولد ثانية ويتوصل إلى ذلك بتطهيرها حتّى من رغبة الوجود ، كما ذكر البستاني في دائرة معارفه[2]

"وللحصول على نيرفانا قد اتخذ بوذا طريقاً ذا ثمان شعب وهي في الواقع تحوي القواعد الثماني للحياة وهي (١) الإيمان بالحق ، و (٢) القرار الحق ، و (٣) الكلام الحق ، و (٤) السلوك الحق ، و (٥) العمل الحق ، و (٦) الجهد الحق ، و (٧) التأمل الحق ، و (٨) التركيز الحق . ومن أراد أن يسلك هذا الطريق فعليه أن يلتزم بعشر وصايا ، وهي كما جاءت في دائرة معارف البستاني - : لا تقتل ، لا تسرق ، كن عفيفاً ، لا تكذب ، لا تسكر ، لا تأكل بعد الظهر ، لا تغنِ ولا ترقص ، وتجنّب ملابس الزينة ، لا تستعمل فراشاً كبيراً ، لا تقبل معادن كريمة . وخمس تتعلّق بما يجب أن يقدّم من الاحترام لبوذة والشريعة والكهنوت والسيرة الجيّدة ، والصحة الجيّدة ، والعلم القليل صفات كافية للدخول إلى الرهبانية حتّى في سنّ الحداثة ، ويؤمر المبتدئ أن لا يأكل إلاّ فضلات أطعمة العوام ، وأن يلبس رداء من الخرق ملطخاً ، وأن يسكن بالقرب من الأشجار ، وأن يستعمل بول البقر دواءً ، وأن لا يفتخر بقوى فوق القوى البشرية"[3] . علماً أن تعاليم البوذية قد نصت على مجموعة من الوصايا يبلغ عددها 250 وصية ، أما الوصايا العشر فهي الجوهرية .

---

[1] أبو الأعلى المودودي، الجهاد في الإسلام، مركزي مكتبة ببلشرز، نيودلهي، ٢٠١٣، ص ٣٣٨

[2] البستاني، بطرس، دائرة المعارف، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج5، ص 660، 661، 663، 668، 669، وج2، ص.716 نقلاً عن
http://www.bayynat.org/www/arabic/adian/boozeyyaa.htm:

[3] المرجع نفسه

إن البوذية بالرغم من كثير من التعاليم الخلقية الجذابة تحمل في طيها العديد من العيوب ، فهي تبدو فاقدة الهمة أمام تحديات الزمان والمكان . وهي تفصل أتباعها عن جميع الفعاليات الاجتماعية والسياسية والإدارية ، وتبعدهم عن بذل مساعيهم لرفاهية بني آدم ، حتى تعزلهم عن أداء حقوق أسرهم ، وجيرانهم ، وقومهم ووطنهم .

إننا في ضوء فلسفة البوذية الأخلاقية هذه لا نتوقع منها أنها ستتحدث عن نصر المستضعفين في الأرض ، أو إزالة الفساد الروحي والمادي، أو تعلن بالجهاد ضد الجور والعدوان ، وإقامة العدل والأمن والسلام . فأي دين أو مذهب يعلّم الرهبانية لا تمسّه الحاجة إلى الحرب مهما كانت الظروف، والإنسان إذا ترك الحياة الاجتماعية ، وجلس في زاوية أو ذهب إلى غابة ، فهو بموقفه لعدم العنف ورهبانيته لا يمكن أن يساعد إنساناً آخر يواجه الظلم والعدوان . وهذا هو السبب فيما إذا كانت البوذية لم تتمكن من تقديم أي حضارة في العالم[1] ، وهي تحملت الجور والاعتداء ، ولكن لم تتلفظ ضد النظام الجائر ، والسكوت أمام الظلم ، ظلم ارتكبته البوذية في تاريخها .

هي انتشرت في بورما وسري لنكا ، وتبت ، بسرعة ، وذلك بسبب أن هذه المناطق ما كانت لها حضارة تُذكر ، فكانت مناسبة لمذاق وطبائع سكان هذه البلدان . أما البلدان التي كانت متمتعة بالديانات والحضارات القوية ، فانهزمت فيها ، مثلاً في الهند التي كانت مولدها ، فلما انتبهت البرهمية أفلت البوذية ، وجعلت البلدان الأخرى ملجأً لها ، وكذلك لم تستطع أن تواجه قوة الإسلام في أفغانستان . أم الصين واليابان فاختارت فيهما موقف التسوية[2] . فهي ما ذاع صيتها بسبب تمتعها بقوة أو بحضارة بل بسبب تسليم رأسها أمام كل نظام جائر . فأصبحت هي محبوبة لدى كل سلطان ظالم أراد أن يحكم البلاد حسب

---

[1] المودودي، الجهاد في الإسلام، ص ٣٤٣

[2] Hackman, Buddhism as a Religion, pp 90-91

نقلاً عن الجهاد في الإسلام للأستاذ أبي الأعلى المودودي، ص٣٤٤

مشيئته ، بدون مواجهة أي معارضة من أتباع هذه الديانة . وهذا هو السبب في أن الحكام رحبّوا بهذه الديانة لمواطنيهم ، وساهموا في نشر تعاليمها . كما تحبّ بعض مؤسسات الفكر والرأي من الولايات المتحدة أن تعمّ في العالم الإسلامي الصوفية[1] . فهي تنصح الولايات المتحدة بأن تشجّعها بين المسلمين ، وهذا لأن الصوفية لا تتحدث عن إعداد قوة يُرهب بها المسلمون أعداءهم وأعداء الله ، والتي تفضّل الجهاد الأكبر ، ولا تتحدث أبداً عن الجهاد الأصغر . فالجهاد العملي عندها هو الجهاد ضد النفس الأمارة بالسوء فقط . فالواضح أنه إذا اختار المسلمون الصوفية بأشكالها المحببة لدى مؤسسات الفكر والرأي الأمريكية فلا تكون لأعداء المسلمين مشكلة في استعمار العالم الإسلامي . وليس المقصود من حديثي هذا أن أثبت أن الصوفية صحيحة أو غلط . فهذا موضوع آخر . وإنما المقصود هنا الإشارة إلى دسائس الأعداء ونواياهم الخطيرة في عصرنا الحاضر .

أما الإسلام فهو لا يسمح لأي فرد أو نظام بأن يفسد في الأرض ويطغى ، ويقضي على الأمن والسلام . بل هو يخاطب أتباعه بالصراحة ، " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان"[2] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"[3] فهو يأمر الإنسان بأن يختار جميع الوسائل التي يحتاج إليها بنو آدم لتحقيق أغراضهم الروحية والمادية . أما البوذية فهي تدعو أتباعها إلى العزلة والانكماش ، والانفصال عن كل ما يتعلق بحياة المجتمع .

---

[1] انظر تقريراً نشرته " ريند كاربوريشن" (Rand Corporation) إحدى مؤسسات الفكر والرأي الأمريكية، على الموقع :

www.rand.org/publication/MR/MR1716

[2] مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩

[3] سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم ٢٢٥٧

المصادر والمراجع :

1- أبو الأعلى المودودي ، الجهاد في الإسلام (باللغة الأردية) ، مركزي مكتبة إسلامي ببليشرز ، نيودلهي ، ٢٠١٣

2- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، الطبعة الثانية ،٢٠٠١

3- البستاني ، بطرس ، دائرة المعارف ، بيروت ، دار المعرفة ، د .ت ، ج٢ ، وج٥ ، نقلاً عن الرابطة التالية :

:http ://www .bayynat .org/www/arabic/adian/boozeyyaa .htm

4- ترمذي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ، رقم ٢٢٥٧

5- رام شرن شرما ، تاريخ الهند القديمة ، لمدارس الثانوية العامة ، المجلس القومي للبحوث التعليمية والتربية ، (NCERT) ، ١٩٩٠م

6- رينـد كاربوريـشن (Rand Corporation) إحـدى مؤسـسات الفكـر والـرأي الأمريكية ، على

الموقع : www .rand .org/publication/MR/MR1716

7- سليم حداد ، مترجم بهاغفات غيتا ، على رابطة الموقع التالية :

http ://tmbulletin .com/bhagavadgita/ch18 .htm

8- مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ، رقم ٤٩

9- D .N . Jha, Ancient India, People's Publishing House, New Delhi, VIIth Edition, 1993.

10 - V .T Rajshekar & Yoginder Sikand , 'Dalit Voice' Speaks Out, Dalit Voice, 14th February 2005,

http ://www .countercurrents .org/dalit-sikand140205 .htm

الدعوة الإسلامية

أخطأ القاضي!

بقلم الدكتور عبد الحكيم الأنيس
كبير باحثين في دائرة الشؤون الإسلامية- دبي

منْ بلخ في بلاد الأفغان انطلقَ في القرن الثالث الهجري عالمٌ بلخيٌّ يريدُ زيارة بغداد مدينة العلم والحكم ، وأرض الشعر والسحر ، وموطن الخلافة والثقافة ... المدينة التي كان صيتُها يملأ الآفاق ، ويداعبُ خيالها عقولَ العلماء ، وقلوبَ الشعراء ، ونفوسَ التجار ...

وبعد رحلةٍ استغرقتْ زمناً غيرَ قصير تراءتْ لذلك العالم البلخي أسوارُ بغداد فخفق قلبُه ، وسبقتْ عيناهُ رجليه ، تستطلعُ سماءَها ، وتستقبلُ هواءَها... وفي لحظاتٍ كان يستعرضُ في ذاكرتِهِ ما سمعه عن علمائها وأدبائها ، وخلفائها ووزرائها ، وقصورها وجسورها ، ومساجدها ومشاهدها ، ودجلتها ونخيلها ، ولكنْ بماذا سيبدأ بالزيارة ؟

إنَّ كلَّ شيء في بغداد جميلٌ يستحقُّ البدء به ، وفي كلِّ بقعة ذكرى عالم، وأثر أديب ، وقد تغنى الشعراءُ بها ، وذكروا محاسنَها ، ولعله كان قد سمع بقول علي بن الجهم:

عيونُ المها بين الرُّصافة والجسر ... جلبنَ الهوى من حيثُ أدري ولا أدري
أعدْنَ لي الشَّوقَ القديمَ ولم أكنْ ... سلوتُ ولكن زِدْنَ جمراً على جمرِ

لعله سمعَ هذا فأراد أنْ يقف عند ذلك الجسرِ ، ويستذكرَ تلك الأبيات السائرة ، وهكذا كان ، ويحدِّثنا فيقول :

(دخلتُ بغداد ، وإذا برجلٍ على الجسر ينادي) .

ترى ماذا يُنادي ذلك الرجلُ ؟ أيُعلنُ مرسوماً سلطانياً ، أم يُنشِد قصيدة، أم يَنشُد ضالة ، دعوني أقترب وأسمع ، فكأنني أسمعُ ذكرَ قاضي بغداد الشهير أحمد بن عمرو الخصّاف ، العالم الكبير ، الفرضِي الحاسب الفقيه ، المقرَّب عند الخليفة المهتدي بالله ، الورع الذي شاع ورعُه ، و أنه لا يأكل إلا مِن كسب يده... إنَّ في نيتي زيارة هذا الرجل الجليل ، والآن أسمعُ اسمَه فلأقترب لأرى...واقتربتُ فهالني ما سمعتُ ، وقفَّ شعرُ جسدي خشوعاً وإعظاماً... لقد سمعتُ الرجلَ يُنادي ويقولُ:

(ألا إنَّ القاضي أحمد بن عمرو الخصّاف استُفتيَ في مسألة كذا ، فأجاب بكذا وكذا ، وهو خطأ ، والجوابُ كذا وكذا ، رحم اللهُ مَنْ بلّغها صاحبها) ...

وقلتُ في سرِّي : هكذا والله فليكن العلماءُ وإلا فلا ، علمٌ وعملٌ، وخشيةٌ من الله تعالى تملأ القلبَ ، فترضي الربَّ ، وتُثير الدربَ .

خشية تعظمُ حرمات الله ، وتحذرُ الوقوفَ بين يديه ..

ولا اعتبارَ بعد ذلك بمنصب القضاء ...
ولا حسابَ لما يُمكن أن يقولَه الناسُ من أعداء وحسّاد ومتربصين ..
ولا خوف من أنْ تهتز مكانتُه عند الخليفة أو الكبراء ...
اللّه وحده هو الذي كان حاضراً في قلبه في تلك اللحظات ، وكفى به .
واستغرقتني بغداد بحاضرها وماضيها إلى اليوم الثاني حيث جئتُ أعبرُ الجسرَ إلى مقصدي ، وإذا بالمشهد السابق يُعادُ كما رأيتُ في اليوم الأول .
وقد وقفَ الناسُ واستمعوا ، واستمعتُ معهم ، ولم يَظهر مِن أحدهم ما يُفيد بوصول الخبر إلى المستفتي المجهول .
ماذا تُرى سيصنعُ هذا القاضي الجليل ، فمِنَ الواضح أنَّ خطأه أرَّقه وأقلقه ، وخوَّفه وآسفه ، ماذا سيصنعُ ؟
هذا ما عرفتُه في اليوم الثالث ، حيث رأيتُ الرجلَ المناديَ نفسَه ينادي النداءَ نفسَه :
" ألا إنَّ القاضي أحمد بن عمرو الخصّاف استُفتيَ في مسألة كذا ، فأجاب بكذا وكذا ، وهو خطأ ، والجوابُ كذا وكذا ، رحم اللّه مَنْ بلّغها صاحبَها " .
وجئتُ في اليوم الرابع فلم أرَ شيئاً ، ولا أدري أوصلتْ الفتوى الصحيحة إلى صاحبها فكفَّ المنادي عن النداء ، أم غلب اليأسُ على القاضي وضعف الرجاء ؟
مهما يكن فلعله أعذرَ إلى اللّه أنَّه رجعَ عن خطئه ، وأعلنَ هذا في الناس ثلاثة أيام في مكان هو مظِنَّة حضور الكثيرين منهم ...
لقد ذُكِرَ القاضي بالعلم والورع ، وإنَّه – واللّه – لجديرٌ بهاتين الصفتين ... ولقد أثبتَ أنَّه جديرٌ بهما ...
أيها القاضي الجليل :
لقد كان خطؤك أكثرَ فائدةً من صواب غيرك .
ولقد كان اعترافك بالخطأ أكبرَ أثراً من فتواك بالصواب .
إنَّ فينا حاجة إلى أخلاق كثيرة ، ومِن أهم هذه الأخلاق أنْ نتعلمَ كيف نرجعُ عن خطئنا ، ولا نلجُّ فيه ، ولا نستكبرُ ، ولا نستحي ، ولا نعبدُ الهوى من دون اللّه .
وعاد العالمُ البلخيُّ إلى بلخ ، وفي جعبته الكثيرُ ممّا يحكيه عن بغداد ، وغرائبها وعجائبها ، وعلمائها وأمرائها ، ومائها وهوائها ، ولكن مِنْ أعظم ما حَمَلَ معه قصة قاضيها الورع العاقل أحمد بن عمرو الخصّاف [1] .

---

[1] قال الصفدي في "الوافي بالوفيات" (٧/٢٦٧) في ترجمة الخصاف المتوفى سنة ٢٦١هـ :
(قال محمدُ بن إسحاق النديم: سمعت أبا سهل محمد بن عمر يحكي عن بعض مشايخه ببلخ قال: دخلتُ بغداد وإذا برجلٍ على الجسر ينادي ثلاثة أيام: ألا إنَّ القاضي أحمد بن عمرو الخصّاف استُفتي في مسألة كذا ، فأجاب بكذا وكذا ، وهو خطأ ، والجوابُ كذا وكذا ، رحم اللّه مَنْ بلّغها صاحبها). وهذا كل ما ذُكر .

الاتجاه الإسلامي في شعر أحمد محرم المصري

الدكتور محمد مظهر عالم الندوي
الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة راجوري ، جامو و كشمير

يعكس شعر أحمد محرم الإسلامي الدور الذي أداه هذا الاتجاه من الشعر في المواجهة الشاملة بين الحضارة الإسلامية الأصلية والحضارة الغربية الوافدة ، كما أنه يكشف عن عظمة الإسلام وقدرته على الثبات والتحدي بماله من إمكانات تصلح أساسا لأقوى حضارة وأشمل ثقافة .

اتخذ الشعر الديني عند أحمد محرم شكلا جديداً وإيجابياً ، إذ أنه شارك في علاج أمراض كثيرة في المجتمع و وضع يده على مواطن الداء فيه ، ومن ناحية أخرى وقف أحمد محرم شعره الديني في الدفاع عن الإسلام ، يذود عنه أكاذيب المغرضين رادا كيدهم إلى نحورهم ، ناثرا على الناس أمجاده ، مشيداً بعظمته وخلود مبادئه . وناضل عن كل شعب عربي ومسلم ابتلي بالاستعمار ، وأراد للمسلمين العزة والصلاح .

وقد كانت العاطفة الدينية متغلغلة في نفس الشاعر منذ نعومة أظفاره ، فهي التي أوحت إليه بذلك الفيض الثر من الشعر الإسلامى تمده بالقوة ، وتدفعه للانطلاق بهذا المدد الدافق من الأحاسيس والعواطف التي تتقد غيرة على الإسلام ، وتتفانى في الدفاع عنه . ولم يقتصر محرم في شعره الديني على نفحات إسلامية ، تعمر حياته الشعرية التي استغرقت جل عمره ، وإنما أفرد لشعره الإسلامى ديواناً خاصاً أطلق عليه " ديوان مجد الإسلام " .

و للشاعر أحمد محرم شعر وطني مع زملائه شوقى وحافظ ، وفي شعر أحمد محرم الوطني عاطفة جياشة يرفدها حبه لمصر وللإسلام والعروبة الذي ملك عليه فؤاده ، وله شعر اجتماعي يحذر فيها أبناء وطنه من المفاسد ومن التأثر بأخلاق مما ينافي الدين ، وله شعر في موضوعات أخرى ، وهنا يحسن بنا ان ندرس الشعر الإسلامي لأحمد محرم ، ونذكر النماذج منه في الموضوعات التالية:

الجامعة الإسلامية:

كان الاتجاه نحو الخلافة الإسلامية ، وتأييد فكرة الجامعة الإسلامية تياراً أساسياً في الفكر السياسي المصري منذ أواخر القرن

التاسع عشر وإلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، و كان لذلك الاتجاه دوافعه الدينية والوطنية التي تتلخص في الخوف على ديار الإسلام من الخطر الأوروبي الذي اشتد على المسلمين في منتصف القرن التاسع عشر، حين أخذت أوروبا تفرس مخالبها في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فاحتل الفرنسيون الجزائر سنة ١٨٣٠م ثم تونس سنة ١٨٨١م ، واستولى الروس على القوقاز ، وسيطرت إنجلترا على الهند ثم على مصر بعد ذلك، و استعمرت هولندا أندونيسيا ، وبات العالم الإسلامى كله محوطا بالخطر ومهددا بالضياع ، و إزاء هذا الإحساس بالخطر على الإسلام تنادى المسلمون بالدعوة إلى ما يأمر به الدين من وحدة دينية تجمع المسلمين تياراً دينياً يستهدف مقاومة الغرب وعدوانه ، وتحرير بلاد الشرق الإسلامى من سيطرته (١) .

وكان زعماء الفكر السياسي في مصر يرون في الدولة العثمانية مايراه المسلمون فيها من أنها وحدها الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزتهم ، وأنها هي الحامية لبيضة الدين الإسلامي (٢) .

بهذه العاطفة الدينية اتجه الشعراء في مصر إلى الدولة العثمانية ، دولة الخلافة الإسلامية ،يؤيدونها ويلتفون حول رايتها ، يقول أحمد محرم عن السلطان عبد الحميد مشيدا بجهوده في حماية الإسلام :

حمى بيضة الإسلام عن يد لامس فأصبح من كيد العدا و هو سالم
هو الذائد الأعداء عن حوض مجده بصارم عزم لا يحاكيه صارم (٣)

وبينما الأتراك مشغولون بتثبيت نظام الحكم الجديد بعد نفي عبد الحميد ، والشعراء يتبارون بين مواس و مهاجم ، وكانت الحلقة تكتمل لتدمير دولة الخلافة الإسلامية وتحويلها إلى ذكرى عبر التاريخ ، فبعد أن اقتطعت روسيا جزءاً من الدولة العثمانية ، واستولت فرنسا على تونس ، بدأت ايطاليا تبحث لنفسها عن مكان وسط هذه الإمبراطورية الحزينة ، فوقع نظرها على طرابلس الغرب ، فأعلنت إيطاليا الحرب و وقف العرب مع الأتراك للدفاع عن شرفهم وبلادهم ، و أعلن الشعراء سخطهم على الإيطاليين ، وعلى كل من يحارب الدولة ، و يحاول اقتطاع جزء من ممتلكاتها(٤) ، يقول أحمد محرم :

رويداً بني روما فللحرب فتية تهيج الظبى أطرابهم و اللهاذم
أولئك أبطال الخلافة تحتمي باسيافهم إن داهمتها العظائم
هم المانعون أن يقسم فيئها و أن تستبى بيضاتها والمحارم (٥)

أنشأ أحمد محرم ثماني قصائد في مناسبات مختلفة ، يفيض كل بيت منها بالغيرة على الإسلام ، والحرص على وحدة المسلمين ، و

تضامنهم في وجه الأخطار .

الدفاع عن الدين :

تتنوع أساليب الغزو الأجنبي للعالم الإسلامي ، وكان الغزو الفكري هو أحد هذه الأساليب وأخطرها ، وقد ظهر ذلك عندما أخذ المفكرون من ساسة الغرب في التهجم على الإسلام والطعن في مبادئه ، فانتقد "كرومر" ، عميد الاحتلال في مصر ، الإسلام وصوره ديناً رجعياً لا يصلح لأن يقوم على أساسه نظام اجتماعي راق (٦) رد أحمد محرم هذه المزاعم مخاطباً كرومر :

زعمت الدين و القرآن جاءا ... بما يشقي حياة المسلمينا
زعمت محمداً لم يؤت رشدا ... ولم يسلك سبيل المصلحينا
سل الأحياء والموتى جميعا ... أ كنا أمة مستضعفينا
تركنا الدهر ينتفض انتفاضا ... وغادرنا الخلائق ذاهلينا
سننا الرشد للغاوين طراً ... ولولا الدين لم نك راشدينا(٧)

و قال إن الإسلام هو الدرع الحصين الواقي الذي يقي البشرية من نكبات الزمان ، و يحمي حقوق الضعفاء فلا يطمع فيهم القوي ويكفل الحقوق لأصحابها ، ويقف في وجوه الباغين فمن أراد البناء الحق فليتخذ من مبادئه نبراساً وهدى :

هو الاسلام ما للناس واق ... سواه فأين يذهب من تعامى
يذود عن الضعيف فيتقيه ... من الأقوام أنفذهم سهاما
يلوذ به إذا ما خاف ضيما ... فينصره ويمنع أن يضاما
كفي بكتابكم يا قوم طباً ... لمن يشكو من الأمم السقاما
كتاب يملأ الدنيا حياة ... وينشر في جوانبها السلاما
أقيموا الحق بالسور الغوالي ... فإن الله يأمر أن يقاما (٨)

ولا عز إلا في رحاب الإسلام ، ولاحمى إلا في حماه:

يا قومنا هل تعرفون كتابكم ... أم ليس فيكم مؤمن يتذكر
إن تجهلوه فإنه السر الذي ... يحيى النفوس إذا تموت وتقبر
وهو الحمى المأمول يعصمنا إذا ... جرت الأمور بما نخاف ونحذر
ماذا نخاف وكل حرف معقل ... ولمن ندين وكل سطر عسكر
هو قوة الاسلام ما من قوة ... ترمى بها إلا ترد وتقهر(٩)

يتلهف الشاعر على المجد الماضي ، ويلج به الشوق كي يعود في حين ضيع الأبناء هذا المجد وتركوه لعاديات الزمن :

فيا لهف قلبي لمجدٍ مضى ... ويا شوق نفسي إلى عودته
ويا لهف آبائنا الأولين ... على الشرق إن ظل في نكبته

همو غادروه كروضٍ أريضٍ تتوق النفوس إلى نضرته
ونحن تركناه للعاديات ولم نرع ما ضاع من حرمته (١٠)

يسأل الشاعر الأيام والليالى عن سبب نكبة الشرق وهوان أهله ، وأفول نجمه ، ثم يعود وقد وضع يده على ممكن الداء ، وأمسك بأسبابه، وهو ضعف الهمة والاستسلام إلى كاذبات الأحلام :

داء أهل الشرق ضعف الهمم وبهذا كان موت الأمم
يا بني الشرق ولا شرق لكم بسوى الجد ورعي الذمم
خنتم العهد فبتم نوماً ضل سعي الخائنين النوم
يا بني الشرق أفيقوا إنما خدعتكم كاذبات الحلم
إن من شر البلايا نومكم عن عدو ساهر لم ينم (١١)

وهذه النفس المشتعلة حبا للإسلام ومبادئه وتمسكا بأخلاقه وآدابه ، وإيماناً به وبقوته ، أخذت تدفعه إلى إرسال النذير تلو النذير للأمم الإسلامية ، كي تستفيظ من رقدتها وتنهض من كبوتها فيقول :

متى ينهض الشرق من كبوته وحتى متى هو في غفوته
تجر عليه عوادي الخطوب كلاكلها وهو في غفلته (١٢)

نكبة فلسطين :

هزت مأساة فلسطين فؤاد الشاعر أحمد محرم هزاً عنيفاً ، واستولت على مشاعره ، فأخذ يستنهض العرب والمسلمين ويحثهم لإنقاذ فلسطين قبل أن تحل بها الكارثة ، ويتحقق حلم اليهود بإقامة دولتهم من الفرات إلى النيل ، يقول الشاعر في قصيدة عنوانها " نكبة فلسطين " وتتألف من ثمانين بيتاً :

في حمى الحق ومن حول الحرم أمة تؤذى وشعب يهتضم
فزع القدس وضجت مكة وبكت يثرب من فرط الألم (١٣)

مجد الإسلام :

إن ديوانه مجد الإسلام من أعظم الأعمال الأدبية والشعرية في تاريخ الأدب العربى ، هو عمل أدبى رفيع وشعر رائع بليغ ، صور فيه سيرة وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواقعية التسلسل الزمنى ، وصور الأحداث المختلفة والمعارك والغزوات مجردة من الخيال الواهم ، افتتحه بقوله:

املأ الأرض يا محمد نورا و اعمر الناس حكمة و الدهورا
حجبتك الغيوب سرا تجلى يكشف الحجب كلها و الستورا
عب سبيل الفساد في كل واد فتد فق عليه حتى يفورا (١٤)

ويصف موقف أهل مكة من الدعوة الإسلامية ، وكيف كان ذلك الموقف موقفاً عدائياً تعرض الرسول خلاله للإيذاء من رجالات قريش فيقول :

أمن الحق أن تصد قريش عن فتاها وأن تطيل النكيرا

سل أبا جهلها و قوماً دعاهم فاستجابوا جهالة و غرورا
أولعوا بالأذى فألفوارسول الله جلداً على البلاء صبورا

وبعد ذلك يعدد بعض صفات الرسول وأخلاقه العظيمة وعلاقاته مع قومه ، ويصف بعض المواقف التي حدثت بين الرسول الكريم و بعض رجال مكة ، ويقص علينا قصة الهجرة فينشد :

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل يكفيك من أشواقها ماتحمل
القوم مذ فارقت،مكة أعين تأبى الكرى و جوانح تتململ

وانطلق الشاعر يتحدث عن استقبال أهل المدينة للرسول ، وكيف كان يود كل منهم صادقاً أن يحط رحاله عنده ، فيضم هذا النور إلى بيته ، وكيف تلطف الرسول فألقى حبل ناقته على غاربها ، وترك لها أن تختار هي مناخها ، وما زالت الناقة تسير ، و دفوف النساء تضرب ، وهن يغنين الأغنية المشهورة " طلع البدر علينا " وتوقفت الناقة ، وتوقف الركب بفناء أبي أيوب الأنصاري ، فيا للبشرى ويا للسعادة ة هنيئا له ولأهل بيته .

و يفيض الشاعر في ضيافة الأنصار للمهاجرين ، وما بذلوه لهم ، فقد شاطروه بيوتهم وأموالهم ، وأنزلوهم من نفوسهم منازل كريمة:

هي الأواصر أدناها الدم الجاري فلا محالة من حب و إيثار
الأسرة اجتمعت في الدار واحدة حييث من أسرة بوركت من دار

ويعرض أحمد محرم للجاهلية ومآثمها ومظالمها ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء يدعو بالحق و دين الهدى ، ويتحدث عن غزوة بدر دافع فيها المسلمون عن دينهم وعزهم الله بعد أن حسبهم الكافرون أذلة ، يقول:

ذهب ابن حرب في تجارة قومه ولسوف يعلم من يفوز ويربح
نسر مضى متصيدا و وراءه يوم تصاد به النسور و تذبح

و يقول في فتح مكة ، فيستهل أبياته بالتكبير ، وهو دعاء المسلمين و تهليلهم في كل فرحة ، فالله أكبر من كل كبير ، وأعظم من كل عظيم ، وهو القادر الذي هيأ هذا الفتح ، و منّ على الإسلام والمسلمين ، ففرحوا له ، و شفوا نفوسهم مما كابدته طوال سنوات الهجرة إلى المدينة ، ومكايد الكفار محيطة بهم ، وقد دخل النبى صلي الله عليه و سلم مكة منتصرا محاطا بجلال الله و عظمته ، فالنصر قد جاء من عند الله ، ومن كان الله ناصره فلا غالب له ، ما أن يدخل رسول الله صلي الله عليه و سلم مكة و يشرق عليها بنور غرته ، حتى يفرح المسلمون ، وتضطرب أرجاء مكة فرحاً وطرباً لقدومه ، واشتاق البيت الحرام للرسول صلي الله عليه وسلم اشتياق الحبيب لحبيبته ، ولو

لم يكن جماداً لكان قام لاستقباله والترحيب به:

الله أكبر جاء الفتح و ابتهجت للمومنين نفوس سرها وشفا
مشى النبى يحف النصرموكبه مشيعا بجلال الله مكتنفا
لم يبق اذ سطعت أنوار غرته مغناً بمكة إلا اهتز وجفا
تحرك البيت حتى لو تطاوعه اركانه خف يلقى ركبه شغفا

ثم ينتقل إلى تصوير ما حدث للكفار وأصنامهم ، فيقول : إن الكافرين الذين عبدوا الأصنام وتقربوا إليها ورجوا عونها ، فإذ بهم الأن ينقلبون ضاحكين من عجزها وضعفها ، وما لحقها من الذلة والهوان ، فبعد أن كانوا يحيطون بها ويعبدونها ، أصبح يحيط بها الهوان :

العاكفون على الأصنام أضحكهم أن الهوان على أصنامهم عكفا

بانتصار الإسلام والحق زالت الجاهلية وزالت أطلالها وآثارها ، وزالت معتقدتها الباطلة التى سادت فترة من الزمن وأعجب بها أصحابها :

لم يبق بالبيت أصنام و لا صور زال العمى و استحال الأمر فاختلفا

ولعل لقاءنا مع أمجاد الغزوات ينتهي عند آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي غزوة تبوك ، ثم يصف وفود العرب وكيف دخلوا في الإسلام أفواجا ، فيذكر وفد نصارى نجران قائلا:

وفد نجران إن أدرك الرَشادا فاتق الله و اتبع ما أرادوا

ثم يذكر من جمع الوفود التي ذكرها وفد الأشعريين فيقول:

قدوم من أبي موسى الهمام و وفد الأشعريين الكرام

ويمضى الشاعر يسجل في ديوانه مواقف مشرفة للمسلمين وجهادهم في سبيل الدعوة الخالدة ، وكلها من النماذج الرفيعة التي يعتز بها المسلمون أينما كانوا وحيثما حلوا ومع كل نموذج من هذه النماذج الرائعة دعوة تهيب بكل مسلم و مسلمة على وجه هذه الأرض أن يكون واقع حياتهم على نمط ما كان عليه المؤمنون السابقون حتى يصل المسلمون حاضرهم بماضيهم فتكون حياتهم كلها حياة العزة والشرف والكرامة .

وينهى الشاعر ديوانه بحدث جلل في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وهو يوم لحق فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالرفيق الأعلى راضيا مرضياً ، ومع شده وقع هذا الأمر على نفوس المسلمين ، فقد ذكره الشاعر في معرض حدث آخر ، كانت بدايته في حياة رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ثم كانت نهايته المشرقة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، وكأن الشاعر يريد أن يقول: لئن كان الرسول قد مات ، فإن رسالته كانت وستظل ماضية ، ودعوته بإذن الله ستكون باقية قوية إلى يوم الدين .

أما هذا الحدث الهام الذي أنهى به الشاعر ديوانه فقد كان حول سرية

أسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما ،التي كانت آخر سرايا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى بلاد الشام للتهيئة لحرب الروم ، فيها يقول:

سر يا أسامة ما لجيشك هازم أنت الأمير و إن يعتب واهم

وينتهي الديوان على هذا النمط من صدق العاطفة وحرارة الإيمان واشراق الديباجة ونصاعة البيان ، لقد ادى أحمد المحرم دوراً بارزاً بما عرضه من بطولات وتضحيات الرعيل الأول من أهل الإسلام ، الذين ضحوا بكل شيء في سبيل غرس بذرة الإسلام حتى غدت شجرة وارفة الظلال .

لقد استمد الشاعر من الإسلام أهم معانيه ولا سيما شعره الإسلامي ، وكانت الحياة له مجالاً فسيحاً وجد فيه صوراً شتى ، اتخذ منها بعض معاني شعره ، ولقد كان واضحاً في أشعاره ارتباط المعاني والأفكار بالألفاظ والأساليب ارتباطاً وثيقاً ، لأن ما بين الشكل والمضمون علاقة تبعث الحيوية في الشعر وترتبط بواقع حال الشاعر ونفسيته .

الهوامش والمصادر

١- نبيل طبوشة ، الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ص ١٧ .
٢- محمد فريد ، تاريخ الدولة العثمانية ، مقدمة الطبعة الثالثة ، ١٩١٢م .
٣- ديوان محرم ، ص ١٩٨ .
٤- عبد الرشيد عبد العزيز سالم ، دولة الخلافة الإسلامية ص ١٣٢ .
٥- الديوان ٢ ص١٩٣ .
٦- جريدة المؤيد ، العدد ١٤٨ بتاريخ ٤/٢٤/ ١٩٠٧ .
٧- ديوان محرم ٢ ، ص١٠ .
٨- محمد إبراهيم الجيوشى ، أحمد محرم شاعر العروبة والإسلام ، ص١٢٣ .
٩- الديوان ١ ص — ٥٢ .
١٠- الديوان ١ ص ٧١ .
١١- الديوان ١ ص ٨١ .
١٢- الديوان ١ ص ٦٣ .
١٣- أحمد محرم ، ديوان الأقصى الحزينة ، حققه محمود أحمد محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ص ١٧- ٣٠ .
١٤- أحمد محرم ، ديوان مجد الإسلام ، تحقيق: محمد إبراهيم الجيوشي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٥٢م ص ٤٥ ومابعدها للأبيات الآتية

العاطفة الدينية والصبغة الإسلامية في القصص القصيرة لعبد الحميد جودة السحار

بقلم : الحافظ عبد المغيث (نيو دلهي ، الهند)

قد برز في العصر الحديث كثير من الأدباء والكتاب على أفق الأدب العربي الذين كتبوا قصصاً وروايات في اللغة العربية من أمثال محمد حسين هيكل وكامل كيلاني وعبد الرحيم التدلاوي ويوسف السباعي وجرجي زيدان وغيرهم . فمن هؤلاء الأدباء البارزين عبد الحميد جودة السحار الروائي الكبير والقصاص العظيم .

أما عبد الحميد جودة السحار فحصل على المكانة الرفيعة والدرجة العليا في مجال الرواية والقصة ، لأنه أدخل العناصر الإسلامية ، والعاطفة الدينية الصادقة في مؤلفاته وبالأخص بقصصه حينما لا نجد في قصص الأدباء الآخرين باستثناء البعض ، الطابع الديني والصبغة الإسلامية على النحو المطلوب . فإن لم تقتصر جهود السحار على تقديم تاريخ الإسلام وعناصره تأليفاً وتحقيقاً، بل جهوده تنتشر في ميادين مختلفة . هذا هو الحق ، إنه كتب حول نواح مختلفة ولكن بالخصوص قد تصبغت مؤلفاته وكتبه بالصبغة الإسلامية والعاطفة الدينية .

قبل أن نناقش عواطفه و نزعاته ونذكر بعض تأليفاته لا بد لنا أن نلقي نظرة سريعة على حياته ونشاطاته ، والبيئة التي نشأ فيها هذا المؤرخ الإسلامي والقاص العظيم .

ولد عبد الحميد جودة السحار في أسرة دينية مصرية في ٢٤ أبريل ١٩١٣م بمدينة القاهرة . تفتحت عيناه في بيت حيث كان يناقش أبواه عن أحداث السياسة والدين والاقتصاد والأدب . أما والده فكان تاجراً دينياً واجتماعياً . أرسله أبوه إلى المدارس الخاصة ثم التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية لتعلم اللغة العربية والإنجليزية والحساب وغير ذلك . وبعد ذلك انتقل إلى الجامعة حيث طالع الآثار الأدبية وكتب السياسة في مصر القديمة ومجموعة الأقاصيص لعديد من أشهر الكتاب الإنجليز ، واستمد منها المعارف الأدبية

والأنباء المحلية والعالمية والسياسية . إن كان بيته أول مدرسة تعلم فيها أهم دروسه في الحياة . وهذه هي العوامل التي حرضته على قراءة كتب السيرة والتراث العربي والإسلامي وعلى قراءة الآداب الغربية كما يقول هو عن نفسه في كتابه "حياتي " : " وقد قرأت لتولستوى وديستويفسكي وتورجيفي وغيرهم ، وقد قرأت ديكنز وشيكسبير ، وقد قرأت توماس مان وستيفان زفايج وكتاب ألمان آخرين وقرأت كل ما استطعت التهامه من الأقاصيص المترجمة الفرنسية وغيرها ، لقد قرأت متنوعات كثيرة ، لذلك كان إنتاجي متنوعا ."(١) وفي أثناء الدراسة كتب أول قصة قصيرة باسم " رجل البيت " ثم اتجه إلى كتابة المقالات عن الموضوعات الدينية المختلفة وغيرها ، فنشر عدة مقالات خاصة فى صحيفتين " المقطم " و " الأهرام " و كلتاهما قد وصلتا فى عصرهما إلى شهرة واسعة . ثم انتقل إلى كتابة القصة القصيرة والرواية ، وهكذا بدأ يكتب أول رواية باسم " أحمس بطل الاستقلال . " و زار السحار مختلف البلدان الإسلامية وغير الإسلامية حيث استمد المعارف العلمية والأدبية والسياسية وجمعها فى آثاره الأدبية ، كما أن بعض قصصه " أذرع سيقان " و " ليلة عاصفة " و " جسر الشيطان " حكاية عن رحلته الطويلة ، والنقاد يقولون أيضاً عن هؤلاء القصص : إنها تجارب شخصية للمؤلف . وغير ذلك كثير من مؤلفاته تشتمل على المواد الدينية والإسلامية وخاصة قصصه القصيرة للأطفال تحتوي على تاريخ الإسلام . وبعد إكماله الدراسة في الجامعة التحق بوظيفة حكومية حيث احتل منصب المترجم في سلاح الطيران الملكي ثم تولى منصباً اقتصادياً ، وهكذا ما زال ينتقل من وظيفة إلى وظيفة أخرى ، وعين أثناء ذلك رئيساً لمجلس إدارة الشركة العامة للتجارة ومديراً عاماً فى المؤسسة العامة الاقتصادية ، ورئيساً لمجلس إدارة مصالح البنات والجاريات وغيرهن ، ثم انعقدت جماعة باسم " اتحاد خريجي الجامعة للمطالبة بحقوق المؤظفين " وفي الواقع أن هذه اللجنة كانت وسيلة لتطوير أعمال الأدباء وعقول الشباب .

عبد الحميد جودة السحار كاتب إسلامي وروائي وقاص ومؤرخ واقتصادي ، فقد ألف الروايات الإسلامية الطويلة العديدة وعشرات من مجموعة الآقاصيص والقصص القصيرة الدينية التي قدم فيه الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والإصلاحية . أما كتبه الدينية فقد كتب ١٤ كتابا . و "محمد رسول الله والذين معه " عمل من أعماله الهامة فى عشرين جزءا قدم

فيه تاريخ الإسلام منذ إبراهيم أبى الأنبياء إلى وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن هنا نبدأ إلقاء الضوء على كتبه القيمة الهامة .

محمد رسول الله والذين معه :

اشتهر عبد الحميد جودة السحار بين الناس بما كتبه عن حياة " محمد رسول الله والذين معه " وقد وفقه الله تعالى لكتابة السيرة النبوية بالأسلوب القصصي المشوق فى عشرين جزءا ، وقد بذل جهده ليلتمس الحقيقة على قدر اجتهاده . فأعجب الناس بمنهج قصته وأسلوبه السهل ، ثم بدأ كتابة تاريخ ما قبل ولادة محمد صلى الله عليه وسلم وبعده باسم " محمد رسول الله والذين معه " للأمة الإسلامية ونشرت مبسطة للطفل بالإضافة إلى كتاباته عن الصحابة ومنهم أبو ذر الغفارى وسيدنا بلال مؤذن الرسول وسعد بن وقاص وأبناء أبي بكر رضي الله عنهم . وقد بدأ كتابة سيرة الخلق بسيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام ويحكي لنا قصة حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام من قبل ولادته في هذا الكتاب العظيم . وكيف كانت حياة والده ووالدته وأهله قبل ولادته ثم رحلته بحثاً عن الحقيقة والإله ، مدبر الكون وخالقه والوصول إليه . وينتهي الجزء الأول من السيرة بسفر سيدنا إبراهيم عليه السلام بحثا عن السيدة سارة وتخليصها من الأسر من مصر . أراد الكاتب من كتابة سيرة سيدنا إبراهيم في هذا العصر الذي طغت فيه المادية ليعرض حقيقة مشرقة من تاريخ البشرية ارتفع فيها الإنسان حين أسلم وجهه لله ورفع يديه للدعاء له وتحرر فيها من العبودية .

أصدر عبد الحميد جودة السحار العديد من المجموعات القصصية والروايات التي تقدم جوانب مختلفة في حياتنا الاجتماعية ، السياسية والاقتصادية وتسلط الضوء على الزوايا الأخلاقية ، لكن ركز عنايته بالتاريخ الإسلامي المشرق ـ في الحقيقة ـ شاغل السحار منذ بداية حياته الأدبية سعيا لكتابة أهم أعماله وأعظمها ، وهو السيرة النبوية المعنونة بـ "محمد رسول الله والذين معه"؛ وفيها يتناول سير الأنبياء من عهد آدم أبي البشر . عابراً بإبراهيم أبي الأنبياء ـ حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في عشرين جزءاً كبيراً يبلغ مجموع صفحاتها حوالي عشرة آلاف صفحة .

المسيح عيسى بن مريم :

يعتبر من أكثر أعماله نجاحا هو كتابه عن المسيح عيسى بن مريم فهي تعتبر من روائع القصص الدينى المعتمد على القرآن الكريم وبعض أسفار الإنجيل

ويتناول فى الرواية قصة آل عمران وزوجته ، وكيف كفل زكريا عليه السلام مريم التي اصطفاها لله سبحانه وتعالى ؟ ومعجزة خلق عيسى عليه السلام وحوار (مريم) مع قومها وأسباب دهشتهم ، ثم تناول دعوة يحيى عليه السلام وحياته ولماذا قتل ؟ وكيف بلغ المسيح دعوته إلى قومه ، وما المعجزات التى ظهرت على يديه؟ ومؤامرات اليهود عليه وتدبيرهم لقتله ، وكيف رفع الله المسيح عليه السلام من خلال سطور هذه القصة العظيمة ، نتعلم العبر والعظة من أجل حياة سمحة ونقية ، لذلك نحن أمام صرح روحاني يقوم بتنقية أنفسنا من الضغائن والشوائب الحياتية التي نراها في ظل وجودنا على مسرح الحياة .

وأصدر القصص الدينى للأطفال فى ستة وثمانين جزءا ، وقسمها إلى أربع حلقات ، نذكر منها حسب الأنواع .

١-قصص الأنبياء فى ثمانية عشر جزءا بالاشتراك مع الكاتب الشهير سيد قطب .

٢-قصص السيرة فى أربعة وعشرين جزءا .

٣-قصص الخلفاء فى عشرين جزءا .

٤-وسلسلة "العرب فى أوربا" فى أربعة وعشرين جزءا .

قصص الأنبياء :

كتب السحار قصص الأنبياء للأطفال في شتى اللغات وفي الأديان السماوية بصفة عامة ، لكن مجموعة قصص الأنبياء التي أشرف عليها الأستاذ عبد الحميد جودة السحار ، التي أصدرتها مكتبة مصر ، تعتبر من الأعمال الهامة بالنسبة للطفل المسلم ، هي مجموعة جديدة في أسلوب سهل ممتع ، وإخراج جميل أنيق ، للصغار والكبار ، تصف بحياة الأنبياء وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات ، حتى تظل العقيدة سليمة نقية ، تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتمسك بالأخلاق الكريمة . وقد صدر من هذه القصص من أمثال آدم وحواء ،سفينة نوح ، ناقة صالح ،إبراهيم يبحث عن الله، فداء إسماعيل ، يوسف الصديق ، مدين وشعيب ، موسى والعصا ،موسى والرجل الصالح ،داود ،سليمان وبلقيس وعيسى بن مريم ...الخ .

قصص السيرة :

يعتبر السحار من الأوائل الذين قدموا السيرة النبوية وغيرها من الكتب النبوية للأطفال . إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم منهج حياة لمن امتثلها

واتخذها قدوة ، وفي سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من الدروس والمواقف والعبر. فتأثر السحار بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وطرقه وأخلاقه الذي هو منارة في مذهبه الإصلاحي علما وسياسة وتربية . فقد صب حياته في نفس القالب واتبع خطواته ثم كتب السحار مجموعة " قصص السيرة " في أربع وعشرين قصة . وقد بدأ مجموعته بذكر ما كان آباء الرسول صلى الله عليه وسلم وأجداده من مكانة عظيمة بين الناس ، ثم يتناول مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ويتمه والوحي ، وما لاقاه - صلى الله عليه وسلم - من إيذاء وحصار من المشركين وكذلك ما لاقاه المسلمون الأوائل من اضطهاد ، وهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وكذلك اهتم المؤلف برصد غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى وفاته - صلى الله عليه وسلم- لقد قدم مؤلف السيرة النبوية ، الظروف التاريخية والمعتقدات القديمة من العرب في أسلوب فني شائق فرسم صورة صادقة للحياة العربية تتناسب مع المستوى الذهني والقدرة الفهمية للأطفال كما نرى في قصتيه " هاشم بن عبد مناف " و " عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم " من الجودة الفنية والظروف التاريخية الحافلة بالمعلومات عن قريش بالإضافة إلى خلفية تاريخية وأنظمة حكومية تتصل بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الله . واستطاع ببراعته الفنية أن يدمج فن التاريخ إلى الكتابة الأدبية .

والمؤلف في هذاالعمل الشائق يحرص كل الحرص على " تطعيم الحكاية القصصية بالمثل العليا التي تجلت في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وبرزت في علاقاته بالآخرين . " (2)

قصص الخلفاء :

دولة الخلفاء الراشدين ، هي أولى دول الخلافة الإسلاميَّة التي قامت بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين 12ربيع الأوَّل سنة11هـ ، المُوافق فيه 7يونيو سنة 632م وهي دولةُ الخِلافة الوحيدة التي لم يكن الحكم فيها وراثيًّا ، بل قائم على الشورى ، فهم كانوا موظفين بالعدل والحق ، والقوة والشجاعة ، والزهد والورع ، والتقوى والمراقبة ، والخوف من الله والبكاء من خشيته ، والفراسة والذكاء ، ودقة النظر والبصيرة ، ويقظة الضمير ، ومن هنا كانت ضرورة أن يكتب قصص عن سير الخلفاءالراشدين لكي تتعرف الأطفال بحكاياتهم وسيرهم وجلائل أعمالهم ، وعظيم صفاتهم . فكتب السحار تاريخ

الخلفاء الراشدين في طراز قصصي وحكائي . وتناول فيها نظام الخلافة ووقائع المعركة والصراع وطرق انتخاب حاكم المسلمين بدقة وبراعة . وركز اهتمامه على أن الإسلام هو دين إلهي لجميع البشرية ، فلا حدود لها تمنعه من النمو والنشوء ولا قوة تسده عن الاتساع والانتشار ، بل على كل مسلم أن يرفع لواء الإسلام والسلام والعدالة إلى كل ناحية من نواحي العالم وينقذ الإنسانية اليائسة التي تطحن تحت ضغط الظلم والعدوان والاضطهاد . فهذه الحلقة تلقي ضوءً على حالة المسلمين ما كان في عهد الخلفاء الراشدين من حيث العقيدة والصفات الخلقية والنظام السياسي ، فيرى أنهم كانوا موحدين حقاً ، معتزين بدينهم ، لا تفرقهم المذاهب والطريقة ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر . ورأى عبد الحميد جودة السحار أن الاستشارة والرأي في سائر المعاملات ضروري لأن الإنسان بها يصل إلى رأي سديد ونقطة واحدة . ودعا الأطفال إلى اتباع الأمير وتقليد القائد لأن الإطاعة تفيد فائدة عظيمة وهي تحفظ الناس من الانقسام والانشقاق والتفرقة ، بينما المخالفة تؤدي إلى القطع . فهذه الحلقة تعطي عبرة ودرساً لأصحاب السلطة والأمراء وأولي الأمر وجميع الإنسانية .

وسلسلة " العرب في أوربا " :

هذه السلسلة تشتمل على تاريخ العرب في أوربا الذين التزموا بالتقاليد والشعائر الإسلامية في الحياة اليومية من الولادة ، والزواج ، والسلوك مع الناس وحضروا أماكن العبادة وتأدية الشعائر الدينية حيناً بعد حين ، ورفعوا لواء الإسلام لأداء واجب الدعوة عليهم قد أعجب الناس بشجاعتهم وقوتهم وزهدهم وفراستهم وذكائهم وحرارة إيمانهم وواجهوا أزمات وتحديات فكرية وسياسية وعسكرية حتى فتحوا الأندلس والكريت وفرنسا وما إلى ذلك من بلادهم . وقاموا بالخلافة الإسلامية ونظامها وقاموا بتغيير الثقافة الغربية بالثقافة العربية وحكموا بالعدل ، وكانت لهم هيبة ورعب في نفوس الأوربيين ، وعاشت الأمم في ظل سيادتهم بعزة وكرامة ، ودامت غلبة المسلمين وسيادتهم ألف سنة ثم جاء بعدهم عدد كبير من الحكام والوزراء والمسئولين الكبار الذين سقطوا في الحب والعشق والغرام وشاركوا في اللهو واللعب ولم يحفظوا الإيمان والأمانة . في هذه المنطقة التي ورثوها من قبل الآباء . فهذه من الأسباب التي أدتهم إلى الانهيار والهلاك وهكذا ضيعوا الخلافة الإسلامية والحكومة الشرعية . وظهرت آثار ذلك في قصص السحار وألقى الضوء في هذه الحلقة على أسباب نهضة المسلمين

وانحطاطهم في أوربا . فكل قصة من هذه الحلقة تنتهي بالعبرة والموعظة الحسنة.

أهداف وراء كتابة القصص الديني :

فطن عبد الحميد جودة السحار أهمية التثقيف والتربية التي تلعب دوراً هاماً في تكوين الأخلاق الفاضلة والأفكار العالية في نفوس الأطفال فهو أراد أن يقدم التاريخ الإسلامي من خلال قصصه بصورة سهلة ، ساذجة تناسب مدارك الأطفال ومستواهم الذهني . وأصدر سلسلة قصصية للأطفال قدم فيها السيرة النبوية بأسلوب رشيق . إن قصصه الدينية تبنى على أحداث الواقع والصدق التي تحرض القارئ على الأخلاق العالية والأعمال الصالحة ، وهي تبعد عن المبالغة والأوهام والخيال الكاذب والمغامرات السيئة و الوقائع الخادعة بينما القصص الكاذبة تخلق بواعث القلق وصور الخوف في نفوس الأطفال وتدفعهم إلى الخيالات الواهية والمغامرات السيئة . كما يقول السحار في مقدمة قصة " آدم وحواء " الجزء الأول من سلسلة قصص الأنبياء : " فكرنا في هذا ، فأخرجنا هذه السلسلة ، ولقد راعينا فيها اعتبارين :

الأول - أن تكون النصوص القرآنية هي المصدر الأول لما نكتب إذ نعقد أن للقرآن في هذه الناحية فكرة تهذيبية معينة .

والثاني - أن نحقق السرد الفني للقصص بما يربى في الطفل الشعور الديني ويقوي الحساسية الفنية وينمي الذوق الأدبي " (٣)

وقدم السحار درس الحب والحنان والعون والوفاء بالوطن والإيثار والصدق والأمن والأمانة وحسن السلوك في المعاملات والأخلاقيات وعيادة المريض في قصصه القصيرة ، وقصصه مؤكدة على أهمية الوحدة والتضامن واختتام النزعة ، لأن فقدان الوحدة والتضامن تأتي بخسارة فادحة ، وذكر السحار عن وسائل ازدهار الأمة الإسلامية ، ومن أهمها التضحية فقد جمع السحار في قصصه شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم وشؤونه ومعاملاته وسلوكياته وعلاقاته بالآخرين التي كانت كلها خيراً وبركةً ورحمةً لجميع البشرية . فكل قصة حافلة بألوان شتى من الفضائل والقيم وروائع حسن السلوك والأخلاق الفاضلة الحسنة ، وحاول السحار أن يربط حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بكل قصة ، وما قصة حياته إلا قصة الإسلام التي غيرت معالم الحياة على الأرض وارتفعت بالإنسان إلى مدارج السمو والكمال ، التي ينعم فيها

بالاستقرار والسعادة بعيداً عن صراعات المادة وضراوة أطماع النفس والهوى . فأكثر قصصه القصيرة مأخوذة من القرآن الكريم وهي تعالج القضايا الرئيسية في العقيدة كقضية التوحيد ولم تفسح مكاناً للخرافات والأساطير الموضوعة ، وبين المؤلف فساد الفكر ، وضلال العقيدة . وضرب أروع مثال في إطاعة الله تعالى وتقليد الأمراء والصلحاء والأخلاق الفاضلة ويقصد السحار من وراء ذلك تبصير الأطفال بهذه المثل العليا لتكون منارة لهم في حياتهم ، وبهذا يصدر عن تصور مفاده أن السيرة النبوية "ليست مجرد رحلة حياة محمد عليه الصلاة والسلام وليست مجرد سرد لأحداث الحياة ، وإنما السيرة هي النموذج الأمثل المثالي لإنسان بلغ قمة المثالية في طفولته ورجولته ، وعندما أمره الله تعالى بتبليغ الرسالة ، وفي اضطهاده من أجلها ، وفي حروبه الطويلة العريضة التي حاضها من أجل هذه الدعوة العالمية بلا كلل ولا ملل ، ولا خوف ." (٤) فترك تراثاً عظيماً لإصلاح المجتمع والأطفال بشكل قصص جذابة .

هذه حياتي :

هذا الكتاب سيرته الذاتية سرد فيها الأستاذ حياته بكل صدق وأمانة . ذكر فيها حياته الخاصة والعامة بكل دقة وصراحة ، وإن هذا الكتاب خير مرجع لمن أراد أن يتعرف بحياة الأستاذ عبد الحميد جودة السحار.

للأستاذ روايات عديدة عن القضايا الاجتماعية التي تدعو إلى إصلاح المجتمع والأخلاق واختتام الظلم والعدوان . ورواياته محبوبة بين القراء .

في الأخير نقدر أن نقول : إن السحار بارع و راسخ في العلم الذي آتاه الله قدرة عليه ، فهذا الأديب قد كتب القصص الإسلامي للدارسين والمدرسين وعشاق الأدب الإسلامي ما يدل على مكانته الرفيعة بين الكتاب والأدباء .

المصادر والمراجع :

١-هذه حياتي لعبد الحميد جودة السحار
٢- السحار...رحلة إلى السيرة النبوية لمحمد جبريل ص ٨١-٨٢
٣-التيار الإسلامي للدكتور صفوت يوسف زيد ص ٢٥٠
٤-آدم وحواء لعبد الحميد جودة السحار على صفحة المقدمة

الفقه الإسلامي

إدارة القضاء في عهد هارون الرشيد

الباحث / سوم بات ، جارون سوك
sombat charoensuk
كلية أصول الدين بجامعة عليكره الإسلامية (الهند)

مقدمة البحث :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، القائل في كتابه العزيز : (وتلك الأيام نداولها بين الناس) آل عمران ١٤٠ ، وقال تعالى : (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم) الأنعام ١٦٥ ، وقال تعالى : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) النساء ٥٨ .

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى ، والشفيع المجتبى نبي الله محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أمابعد . .

فإن فن القضاء في الإسلامية فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يخبرنا عن أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك والخلفاء في دولتهم وسياستهم وقضائهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ، وكان هذا ما دفعني على أن أبحث في موضوع القضاء خاصة ، فاخترت هذا العنوان " إدارة القضاء في عهد هارون الرشيد " ، وإن البحث يتكون من المباحث التالية :

المبحث الأول

حياة هارون الرشيد

اسمه ومولده : هارون الرشيد ، وكنيته أبو جعفر : أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي - جده : المنصور - أخوه الهادي ،

أبوه وجده وأخوه من أعظم الخلفاء العباسيين[1] ، ولد هارون الرشيد في شهر شوال سنة ست وأربعين ومائة ، بالري[2] .

صفات الرشيد وأخلاقه وتوليته :

وكان الرشيد أبيض اللون ، جميل الوجه ، طويلاً سميناً ، قد وخطه الشيب ، سمحا شجاعا ، كثير الحج والغزو والصدقة والصلاة ، وكان محباً للعلماء مقرباً لهم ، كان يميل إلى الأدب ، ويقرب الأدباء ويجزل لهم العطاء ، يعدل في حكمه ، يقضي بالحق ولو على نفسه ، يضرب بشدة وحزم ، لم يرق دماً إلا إذا أدانت الأدلة صاحبه ، والمتصفح لتاريخه ، يلمس بوضوح أنه ما أمر بقتل إنسان إلا في حالات ثلاث: زنديق يعلن كفره ويجاهر به ، مسلم تبيح الشريعة قتله ، ثائر يهدف قلب نظام الحكم ويشيع الفوضى والذعر والقتل بين الناس[3] .

وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعلة ، و يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم ، وحج ماشياً ولم يحج ماشياً غيره من الخلفاء ، يتشبه في أفعاله بالمنصور إلا في بذل المال ، فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال ، وكان لا يضيع عنده إحسان[4] .

رأينا كثيراً في أشد صورة غضبه ، ولكنه قلما أفرط في العقوبة إلا لسبب يكون له أثر في تهديد سلطانه ، أو جرح كرامته ، أو اعتداء على حقوق رعيته ، ورأيناه سريع العفو بعد الغضب ، قريب المغفرة إذا شعر بأنه تجاوز الحد في إنزال العقاب ، أو كان سبب الغضب قد ضعف بعد مرور الزمن الكافي عليه ، أو كان جواب المذنب على جانب من حسن الاعتذار والمنطق السليم ، خطب يوماً في مكة أمام الوفود ، وحث الناس على طاعة الله وعمل الخير ، فقاطعه رجل من السامعين وقال له : (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) ففضب لتلك المجابهة القاسية ،

---

[1] هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه ، غوص مصطفى القهوجي الطبعة الأولى : ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ص ٢٢.

[2] هارون الرشيد وأسرته ، محمود شاكر ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، المكتب الإسلامي ، ص ١١.

[3] هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه ، ص٦٦. وتاريخ الخلفاء : المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الناشر : مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،عدد الأجزاء : ١ ، ٢٤٩ .

[4] التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، د. أحمد شلبي ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦، ج٣ ص ٨٣. وتاريخ الخلفاء : المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الناشر : مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،عدد الأجزاء : ١ ، ٢٤٩ .

وأمر بجلد الرجل في الحال ، فجلد مائة سوط ، ثم مضت على الحادث أيام فتذكر ذلك الرجل ، فسأل عنه فقيل له ، إنه رجل من الزهاد المتعبدين ، وشيخ كبير السن ، وقد ساءت صحته على أثر الجلد ، وصار يئن في ليله ويدعو بالموت لنفسه ، فتألم الرشيد لما جرى منه ، وأرسل إلى ذلك الرجل من يستميله ويسترضيه ، ولم يزل به ، ويكرمه ويستحله حتى رضي الرجل وأحله [1] .

وفاة الرشيد :

توفي هارون الرشيد نصف الليل ، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وكانت مدة خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً ، وكانت سنه يوم توفي ستا وأربعين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً ، أولها لثلاث بقين من شهر شوال سنة ست وأربعين ومائة ، وآخرها لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وقيل غيرُ ذلك [2] .

المبحث الثاني

نظام القضاء في عهد هارون الرشيد

أولاً : نظام " قاضي القضاة " : وقد أحدث الرشيد نظاماً جديداً بتعيين رئيس أعلى للقضاء ، يسمى " قاضي القضاة " ويشبه منصب وزير العدل في يومنا هذا ، وربما أخطر منه لأنه لا يعنى بشؤون القضاء في جوانب الدولة ومراقبة القضاء فحسب ، بل كان أيضا يفتي الخليفة في شؤونه الخاصة ، وأعماله وتصرفاته في أخطر الشؤون العامة ، وكان عليه حضور مجالسه العلمية ومصاحبته في أسفار حجه [3] .

ثانياً : مجلس القاضي : كان مجلس القاضي ينعقد أيام العباسيين أيضاً في المسجد غالباً ، وفي دار الإمارة أحياناً ، وفي دار الخصوم أحياناً أخرى [4] .

ثالثاً : تعيين وعزل رئيس ولاية القضاة : وفي خلافة هارون الرشيد ، أنشئت وظيفة قضائية جديدة هو وظيفة قاضي القضاة : يعنى

---

[1] هارون الرشيد ، الدكتور : عبد الجبار الجومرد ، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية ، المكتبة العمومية ، مطبعة دار الكتب - بيروت ١٩٥٦ ، ج ١ ص ٢١٣ .

[2] هارون الرشيد وأسرته ، محمود شاكر ، ص ١٨٠.

[3] هارون الرشيد : الدكتور . عبد الجبار الجومرد ، المكتبة العمومية - بيروت ، مطبعة دار الكتب - بيروت ١٩٥٦ ، ج ٢ ص ٣٥٣.

[4] القضاء في الإسلام بوجه عام : تأليف. عطية مصطفى مشرفة، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، ص ١٥٧.

فيها الخليفة من يقع عليه اختياره ويفوض له أمر القضاء فيستخلف غيره عنه ، ويقلد من يرى صلاحه وظيفة القضاء في مختلف بلاد الخلافة القريب منها والبعيد[1] .

رابعاً : مجلس المظالم : إن ديوان المظالم هو من توابع القضاء ، ويشبه ما نسميه اليوم " مجلس الاستئناف " بعض الشبه ، والغرض منه استماع ظلامات الناس من القضاة أو غيره[2] .

خامساً : الحسبة : هي المنصب الديني من قبيل القضاء ، وصاحب الحسبة (المحتسب) يبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدن ، مثل المنع من المضايقة في الطرقات[3] .

سادساً : ديوان القضاء : لكل ديوان اختصاصاته بعضها "الإداري" وبعضها " القضائي " ، كديوان القضايا ، وكان على واجب عظيم من الأهمية ، وكانت كل القضايا لغير المسلمين توكل إلى رؤساء ديانتهم ، أما المسلمون فكان يفصل بينهم القضاء[4] .

سابعاً : المراتب : كان في عهد هارون الرشيد متوسط راتب القاضي نحو ثلاثين ديناراً ، وربما كانت غاية الرشيد في ذلك ، الترفيه عن هؤلاء[5] .

ثامناً : تخصيص المذاهب في القضاء : كان في عهد هارون الرشيد بعد أن ظهر مذهبا الإمامين " مالك " و " أبي حنيفة " وانتشر الأول في الشام والحجاز والمغرب ، وتوغل الثاني في العراق وبلاد فارس ، وأصبح القاضي ملزما أن يصدر أحكامه وفق أحد هذين المذهبين ، فإذا اختصم اثنان من غير مذهب القاضي أحال قضيتهما إلى قاض آخر يدين بمذهبهما ، مما اضطر الخليفة أن يختار لكل بلد قاضياً يدين بمذهب الأكثرية فيه[6] .

تاسعاً : مصادر الأحكام : الكتاب والسنة والسوابق القضائية والمذاهب الفقهية : كانت رغبة الخليفة الرشيد في إقامة سياسة الدولة الإسلامية المالية وما يتصل بها على أساس عادل من شريعة الله وسنة

---

١ القضاء في الاسلام : محمد سلام مدكور ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .
٢ تاريخ التمدن الإسلامي : تأليف : جرجي زيدان ، مكتب الحياة ، بيروت ـ لبنان ، ج ١ ص ٢٤٠ .
٣ تاريخ التمدن الإسلامي : تأليف : جرجي زيدان ، ج ١ ص ٢٤٢ .
٤ هارون الرشيد : تأليف. د. أحمد أمين بك ، دار الهلال بمصر ، ص ٤٠ .
٥ هارون الرشيد : د . عبد الجبار الجومرد ، ج٢ ص ٣٥٤.
٦ هارون الرشيد : الدكتور . عبد الجبار الجومرد ، ج ٢ ص ٣٥٢.

رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيتوجه إلى الإمام أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة طالبا منه أن يكتب له في ذلك كتابا جامعا ، فيكتب له أثره الخالد " كتاب الخراج" [1] .

المبحث الثالث

كبار القضاة في عهده .

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : كان أبو يوسف يسافر مع الرشيد ويوسف يقضي بمدينة السلام . والرشيد ولى أبا يوسف قضاء القضاة [2] .

أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني : قاضي القضاة بعد أبي يوسف ، فلازم الرشيد وكان يصحبه في السفر ، ومات في خراسان عندما كان مع الرشيد [3] .

عبد الله بن المبارك : يكنى أبا عبد الرحمن من أهل مرو ، ولد سنة ثمان عشرة ومائة ، ومات بهيت منصرفا من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة [4] .

الفضل بن عياض : يكنى أبا علي من تميم ، ولد بأبيورد من خراسان ، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع من منصور بن المعتمر وغيره ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها سنة سبع وثمانين ومائة [5] .

المبحث الرابع

كبار العلماء والفقهاء حول هارون الرشيد

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : من كبار العلماء وقاضي القضاة عند هارون الرشيد ، وصاحب كتاب " الخراج " ، وتوفي أبو

---

[1] محاضرات تاريخ الفقه الإسلامي في عصر نشأة المذاهب : ألقاها : الدكتور محمد يوسف موسى ، على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٥ ، مطابع : دار الكتاب العربى بمصر محمد حلمى المنياوى ، ص ٤٠ .

[2] أخبار القضاة : المؤلف : أبوبكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي ، الملقب بـ"وَكيع"(المتوفى سنة ٣٠٦هـ) ، المحقق :صححه و علق عليه و خرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد ، الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م ، عدد الأجزاء :٣ ، ج ٣ ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

[3] هارون الرشيد : شوقى أبو خليل ، ص ١٥٤ .

[4] المعارف : ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ، سنة الولادة ٢١٣هـ / سنة الوفاة ٢٧٦هـ ، تحقيق دكتور ثروت عكاشة ، الناشر دار المعارف ، مكان النشر القاهرة ، ج ١ ص ٥١١ .

[5] المصدر نفسه .

يوسف سنة ١٨٢هـ ، وهو ابن تسع وستين سنة ، وولى القضاء سنة ست وستين ومئة وأقام على القضاء إلى أن مات خمس عشرة سنة [١] .

أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني : قاضي القضاة بعد أبي يوسف ، قيل عنه : " هو من أعلم خلق الله بكتاب الله " مات بالري ودفن بها سنة تسع وثمانين ومائة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، ترك ثلاثين ألف درهم ، فأنفقت خمسة عشر ألفا على النحو والشعر ، وخمسة عشر ألفا على الحديث والفقه كما ذكر التاريخ .

الإمام مالك بن أنس : قال الإمام مالك بن أنس : شاورني هارون الرشيد في أن يعلق الموطأ على الكعبة ، ويحمل الناس ما فيه ، فقلت : لا تفعل ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب ، توفى الإمام مالك أيام الرشيد ، وهو ابن تسعين سنة [٢] .

الإمام الشافعي : وتكررت اللقاءات بين الشافعي والرشيد ، وقال الرشيد له : " كثر الله في أهل بيتي مثلك " وكان الرشيد إذا أراد لقاء الإمام الشافعي يقول للفضل بن الربيع : علي بهذا الحجازي ، ومكث الشافعي ببغداد و ذاعت شهرته في الآفاق ، فطلبه الرشيد لمناظرة طرفها الأول الشافعي ، وطرفها الثاني محمد بن الحسن الشيباني ، ومكانها قصر الرشيد وبحضوره [٣] .

المبحث الخامس

نماذج القضاء في عهد هارون الرشيد .

قضاء أبي يوسف : قال حدثنا يوسف عن أبيه عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم أنه قال في الرجل إذا مات فما كان في البيت من متاع الرجال فهو للرجال ، وما كان من متاع النساء فهو للمرأة ، وما كان من متاع الرجال والنساء فهو للباقي بعدهما إلا أن يقيم الآخر بينة ، وإذا طلق فهو كذلك ، غير أن ما كان للنساء والرجال فهو للرجل لأن صاحب البيت فله كل ما كان في البيت إلا ما كان من متاع النساء واذا اختلفا ولم يطلق فهو كذلك [٤] .

---

١ هارون الرشيد أمير الخلفاء أجل ملوك الدنيا : شوقي أبو خليل . ص ١٥٤.

٢ المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .

٣ المصدر نفسه .ص / ١٩٥ .

٤ الآثار : يعقوب بن إبراهيم الأنصاري أبو يوسف ، / سنة الوفاة ١٨٢ ، تحقيق أبو الوفاء ، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٣٥٥ ، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء ١ ص ١٥٧.

قضاء المفضل بن فضالة : فقد حدثنا محمد بن رمح قال : إن بيني وبين جاري مشاجرة في حائط فقالت لي أمي : امض إلى القاضي المفضل بن فضالة " في ولايته الثانية في خلافة هارون الرشيد ١٧٤هـ ، تسأله أن يأتي ينظر إلى هذا الحائط ، فمضيت إليه وأخبرته فقال : اجلس لي بعد العصر حتى أوافيك ، فأتى فدخل إلى دارنا ، فنظر إلى الحائط ثم دخل إلى دار جارنا ، فنظر إليه فقال : الحائط لجاركم وانصرف[1] .

ميزات القضاء في عهد هارون الرشيد

١. كانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً ، وأوسعها رقعة ومملكة ، ولم يجمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقضاة والكتاب والندماء ما اجتمع على باب الرشيد ، وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ، ويرفعه إلى أعلى درجة[2] .
٢. أما القانون الذي كانت تسير عليه الدولة في عهد هارون الرشيد فهو قانون الإسلام وسنة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم[3] .
٣. وفي خلافة هارون الرشيد ، أنشئت وظيفة قضائية جديدة هي وظيفة قاضي القضاة وهو يعين ويقلد من يرى صلاحه وظيفة القضاء في مختلف بلاد الخلافة القريب منها أو البعيد[4] .
٤. إن الخليفة كان يطلب عزل القاضي من الوالي أو من قاضي القضاة الذي كان له حق تعيين القضاة البلدان الأخرى كالوالي تماماً[5] .
٥. ظهرت المذاهب الفقهية ، وذلك جعل القاضي ملزماً أن يصدر الأحكام على مذهبه ، ولكن لم يشترط في القاضي أن يقضي بمذهب معين ، بل اشترط فيه أن يكون مجتهداً أو على مذهب أحد الأئمة[6] .
٦. كانت رغبة الخليفة الرشيد في إقامة سياسة الدولة الإسلامية المالية وما يتصل بها على أساس عادل من شريعة الله وسنة رسوله ، فيتوجه إلى الإمام أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة طالبا منه أن يكتب له في ذلك

---

[1] القضاء في الإسلام بوجه عام : تأليف. عطية مصطفى مشرفة، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، ص ١٥٧.
[2] هارون الرشيد الخليفة المفترى : عوض مصطفى القهوجي ، ص ٦١ .
[3] المصدر نفسه ص ٦٣ .
[4] القضاء في الإسلام : محمد سلام مدكور ، ص ٤٧ .
[5] القضاء في الإسلام بوجه عام ، عطية مصطفى مشرفة ، ص ١٦٧ .
[6] القضاء في الإسلام بوجه عام ، عطية مصطفى مشرفة ، ص ١٥٨ .

كتابا جامعا ، فيكتب له أثره الخالد " كتاب الخراج "[1] .

٧. تأثر الرشيد عملياً بنصائح كبير قضاته ، فيأمر العمال والولاة على الأقاليم بالحرص على أن تقوم إدارة شؤون الدولة على أسس من كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك وصيته التي كتب بها لهرثمة ابن أعين عامله على خراسان ، وفيها يأمره برعاية ما حرمه الله وما أحله ، وبالرجوع إلى الفقهاء الذين هم العمدة في ذلك لمعرفتهم الكتاب والسنة[2] .

٨. امتنع من العلماء والفقهاء عن ولاية القضاء لأسباب عديدة ورعاً ، وزهداً ، وسياسة ، ومذهبياً ، أو خوفاً من عدم القدرة على القيام بالقضاء بشكل كامل أو خوف التأثر بالسلطة وأصحاب النفوذ[3] .

الخاتمة :

وقد ظهرت النتائج في هذا المبحث في عدة أمور ، منها :

١. إن المجتمع البشري في حاجة إلى القضاء .
٢. إن القضاء بمعنى الفصل في الخصومات ، وحل المنازعات .
٣. إن السلطة القضائية التي هي القوة والتمكن من تنفيذ أحكام الله تعالى بين العباد على جهة الإلزام .
٤. إن نظام القضاء في العهد العباسي الأول كان متطوراً كثيراً ، وقد جاء حكمهم باسم الدين ولحماية الدين .
٥. إن القانون الذى كانت تسير عليه الدولة في عهد هارون الرشيد فهو قانون الإسلام وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٦. يبدو أن هارون الرشيد رغب أن يخفف عن رعيته وأن يحكم بالعدل وفقا لما رسمه الشرع الحنيف ، ولاسيما في شؤون المال .

---

١ محاضرات تاريخ الفقه الإسلامى في عصر نشأة المذاهب : ألقاها : الدكتور محمد يوسف موسى ، على طلبة قسم الدراسات القانونية ١٩٥٥ ، مطابع : دار الكتاب العربى بمصر محمد حلمي المنياوي ، ص ٤٠ .

٢ محاضرات تاريخ الفقه الإسلامى في عصر نشأة المذاهب : ألقاها : الدكتور محمد يوسف موسى ، ص ٤٢ .

٣ تاريخ القضاء في الإسلام : الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي ، ص ٣٠٥ .

دراسات وأبحاث

جزيرة العرب

مساحتها ، وعمرانها وطبيعتها

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب : محمد فرمان الندوي

نظرة خاطفة على العالم العربي تكشف أن عمرانه قد امتد من خليج فارس إلى البحر الأطلنطي . واتسعت مساحته إلى أربعة ملايين ونصف مليون ميل مربع ، لكن تتخللها مناطق صحراوية ، في هذه الأرض التي تمتد على مساحات إفريقيا وآسيا ، فكانت نسبة سكانها رغم سعة هذه المنطقة أحد عشر أو اثني عشر بليوناً ، هذه المساحة تزداد من الهند بنسبة ½ ٣ ، وعمرانها ١/٥ فقط من عمران الهند .

شبه جزيرة العرب :

يمتد العالم العربي على قارتين عظيمتين : آسيا وإفريقيا ، فتشتمل المناطق الآسيوية على شبه جزيرة العرب وبعض البلدان الشمالية الأخرى ، وشبه جزيرة العرب موطن العرب الأصيل ، ومهد الأجيال العربية ، ويعتبرها بعض المؤرخين وطن الأجيال السامية ، فلهذه المنطقة أهمية كبيرة من جهات شتى .

من أكبر مزاياها أنها وطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهد الرعيل الأول للإسلام ودعاته ، فنزل القرآن الكريم آخر كتاب الله تعالى في لغتها ، ودونت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم في اللغة نفسها يتسع شبه جزيرة العرب حوالي ٣٤½ درجة طول البلد شرقاً ، إلى ٦٠ / درجة ، ومن حوالي ١٢½ درجة عرض البلد شمالاً إلى ٣٢ / درجة ، فتقع بحيرة العرب جنوباً ، وخليج عمان وخليج العرب شرقاً ، ويقع في جنوب الشرق العراق ، والبحر الأحمر ، والأردن وفلسطين والشام والعراق في الشمال .

شبه جزيرة العرب قديم قدم التاريخ ، وقد شهدت هذه الجزيرة رقي عديد من الأمم المتطورة وانحطاطهم ، بعث كثير من الأنبياء والرسل قبل الإسلام إلى هذه الأرض . فابتليت أممهم بأنواع من العذاب بالكفر

والعصيان ، وهي مركز الأجيال العربية وموطنها ، وإن قبائل العرب التي انحدرت إلى مناطق مجاورة كانت تنتمي إليها أصلاً .

إن شبه جزيرة العرب تعرف بجزيرة العرب توسعاً ، لأن من شمالها إلى شمال الشرق يجري نهر الفرات ، وفي شمال غربها نهر عاصي ، فيقطع بداية هذان النهران البر الشمالي لشبه جزيرة العرب . فصار شبه جزيرة العرب جزيرة العرب ، والجدير بالذكر أن العرب يقولون لشبه جزيرة العرب جزيرة العرب تجوزاً ، كما يطلقون على البر الحاجز بين دجلة والفرات اسم الجزيرة ، وعلى شبه جزيرة الأندلس اسم جزيرة الأندلس .

مساحتها وعمرانها :

تتسع مساحة جزيرة العرب حوالي مليون وثلاث مأة ألف ميل مربع، وإن طولها المتوسط ألف ومأتا ميل ، وعرضها سبع مأة ميل ، ولا نحدد عمرانها بالصحة الكاملة لفقدان الإحصائيات ، لكن حسب التقدير العام يدور حول خمسة عشر مليوناً .

تكتنف جزيرة العرب الرمال والجبال والصحاري ، لكن جنوب غربها الذي يشتمل على العسير واليمن وهي أرض خصبة خضراء ، وتوجد فيها جبال شاهقة ، وكانت نسبة الأمطار فيها غزيرة ، فيعمّها خصب واخضرار، وتجاور هذه الجزيرة منطقة مثلها ، وهي على جنوبها الشرقي، وتعرف بعمان ، وتوجد فيها أيضاً جبال عالية ، تسبب لخضارتها وخصبتها ، لكن هذه المنطقة محدودة ، إلى جبال عمان .

امتدت منطقتان صحراويتان كبيرتان في شمالها وجنوبها ، فصحراء الجنوب كبيرة جداً ، تعرف بالربع الخالي ، فمساحتها الحقيقية مأتا ألف وخمسون ألف ميل مربع ، ومساحتها العامة حول أربع مأة ألف ميل مربع ، تعرف صحراء الشمال باسم النفوذ الكبرى . تخترق صحراء أخرى واسعة أيضاً في شمالها تماثل براً وقلة مياه بمنزلة الصحراء، وتعرف ببادية الشام ، وبادية الشام حدود شمالية لشبه جزيرة العرب ، فيقع في إحدى جهاتها العراق ، وأخراها الشام ، وتتصل " النفوذ الكبرى " بالربع الخالي بالخط الصحراوي الممتد إلى جنوبها ، وهذا الخط يمرُّ بالمنطقة المرتفعة العالية من جزيرة العرب ، ويعرف بنجد ، وأرض نجد منطقة مهمة ومركزية لجزيرة العرب بين الصحراوين تحمل خصائص أساسية ، وهي هضبة عالية في قلب الجزيرة ، تجري في أكثر نواحيها العيون والمياه ، فيوجد فيها عمران إلى حد متوسط ، وأرض

خصبة إلى حد خاص ، وهناك أيضاً أودية خضراء ، تحمل ميزة خاصةً بين مناطق جزيرة العرب الأخرى ، وتمتد هذه المنطقة إلى ثمان مأة ميل طولاً ، ومأتين وخمسة وعشرين ميلا عرضاً .

وفي شمال النفوذ الكبرى توجد صحراء واسعة باسم بادية الشام ، وهي منطقة لا ماء فيها ولا نبات ، ويجري نهر دجلة والفرات في شرقها ، فأكثر أجزائها خالية من الوسائل الخصبة سوى هذه المنطقة المجاورة ، فليست هي أقل من صحراء في حرارتها وجفافها ، وإن الربع الخالي والنفوذ الكبرى وبادية الشام مناطق مهجورة غير مسكونة ، يتعرض المسافرون فيها للخطر، وإن الصحراء الجنوبية : الربع الخالي أشد خطراً، وأكثر صعوبة ، وهي أرض رملية امتدت إلى مآت من الأميال من كل ناحية .

إن المنطقة الطويلة التي تقع في غرب جزيرة العرب من بين المناطق الساحلية لشبه جزيرة العرب ، تشتمل على ساحل البحر الأحمر وسلسلة جبالها وأراضيها الميدانية الطويلة ، وإن هذه القطعة الأرضية غير خصبة ، وتمتد فيها سلسلة من الجبال ، والهضاب ، ثم ارتفعت جوانبها الشرقية تدريجياً ، وتحولت إلى سلسلة جبلية في الحجاز ، ثم انكمشت في جانبها الغربي ، ثم عمت حدودها ساحل البحر ، وأرض الحجاز هذه نصف صحراوية ، فإذا رويت أصبحت خضراء ، وصالحة للزرع ، وإلا كانت صحراوية جافة ، وإن جبال الحجاز تكون جافة ، وقاعا صفصفاً ، وإن الضفة الساحلية والمنطقة الوسطية لشبه جزيرة العرب تحتلان جداراً بينها وبين نجد ، وتمر أودية كثيرة من بين الضفة الساحلية من الحجاز ، فتكون طرق المياه من الجبال في موسم المطر ، هذه المياه تجعل هذه الأرض خضراء في ممراتها ، فصارت أرضاً ذات نخل في مواضع متعددة ، واستعمرت هذه الأراضي بأمكنة المياه ، وهذه الضفة تعرف بتهامة أو بغور ، وتعرف جبالها بالحجاز ، وفي المصطلح العام تسمَّى جميع مناطقها بالحجاز ، والحجاز أقدس بقاع في العالم لدى المسلمين ، وفيها بلدان مقدسان : مكة والمدينة .

وإن الساحل الذي يمتد على الجانب الشرقي في جزيرة العرب أوسع وأخضر بالنسبة إلى المناطق الأخرى ، وتجري فيها عيون صافية ، فكانت أراضي ذات نخل كبيرة ، وقد اكتشف الآن فيها البترول ، تستثمر منها حكومتها ، ويعرف هذا الساحل بالأحساء ، وتوجد في غربها الدهناء ، يحول بينها وبين نجد ، وتجعل الصحراء الشمالية

"النفوذ" متصلة بالصحراء الجنوبية الربع الخالي ، وإن الساحل الجنوبي في شبه جزيرة العرب أقل سعة ، وغير خضراء ، وهي تماثل ساحل الحجاز من خلال حالاتها الطبيعية ، لكن في جانبها الشمالي سلسلة جبلية طويلة ، تعرف بحضرموت ، وتعرف هذه المنطقة الغربية الجنوبية بهذا الاسم ،لكن هناك منطقة ميدانية خاصة في شرقها الذي يغطي الجنوب الشرقي لشبه جزيرة العرب ، فليست هي خضراء ، بل نصف صحراوية وجافة ، وتعد جزءً من عمان ، وتعرف بظفار .

طبيعة جزيرة العرب :

قسم الجغرافيون القدماء جزيرة العرب بين خمس مناطق :

١. الحجاز : وهي منطقة جبلية ، تغطي جنوب فلسطين والأردن في شمال الضفة الغربية لشبه جزيرة العرب ، إلى شمال اليمن في جنوب العرب .
٢. تهامة : وهي منطقة ميدانية ، تمتد إلى ساحل البحر غرب المنطقة الجبلية.
٣. نجد : وهي أرض مرتفعة ، تقع في مساحة واسعة شرق الجبال الحجازية .
٤. اليمن : هي سلسلة جبال مرتفعة في جنوب الحجاز وتهامة ، ومنطقة ميدانية وساحلية في غربها .
٥. العروض : الصحراء ، والوادي في جنوب العرب ، وجنوب نجد .

لكن هذا التقسيم ليس بكامل ، لأن منطقتي حضرموت وعمان لم يرد ذكرهما فيها ، وكذلك الأحساء ، التي ذكرها الجغرافيون جزءً من جزيرة العرب .

فيرى من المناسب أن تقسم جزيرة العرب في ثلاث مناطق :

إحداها : جبال سواحلها العربية والجنوبية ، وساحاتها ، ويأتي فيها الحجاز وتهامة وعسير واليمن وحضرموت وشحر ، ومهره وظفار وعمان .

أخراها : صحاري مختلفة في جزيرة العرب وأرض رملية ، ويأتي فيها صحراء الربع الخالي والدهناء والنفوذ وبادية الشام .

وثالثها : سطح مرتفع لجزيرة العرب ، يقع في وسطها ، فيأتي فيها سواحلها الشرقية وساحاتها من نجد (اليمامة ، والقصيم ، وجبال طي) والأحساء ، وقطر ، والكويت ، والبحرين .

المقالة في الأدب العربي

بقلم : الأستاذ محمد إقبال الندوي المحرر لمجلة التضامن (كيرالا)

المقالة من فنون النثر التي تميزت في العصر الحديث عن بقية الفنون بسرعة انتشارها عبر الصحف والمجلات والإنترنت ، ووصولها إلى أكبر قدر من القراء ، لمعالجتها أحداث الساعة المتلاحقة المتسارعة . وقد اهتم بها كبار الكتاب في أدبنا العربي الحديث ، بل إن الواحد منهم إذا عنت له فكرة يريد أن يوصلها إلى القراء بأسرع ما يمكن يهرع إلى فن المقالة ، لذا عاش هذا الفن النثري مع الآداب والفنون والعلوم والفلسفة والسياسة والاجتماع والتاريخ .

أولا : محاولات التعريف

حين النظر إلى الأصل اللغوي للكلمة نجد أن (مقالة)[1] مأخوذة من القول ، إذ جاء في لسان العرب : " قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة ، وأنشد ابن بري للحطيئة يخاطب عمر رضي الله عنه :

---

١) نشير هنا أن المقال ، والمقالة كليهما صحيح فصيح ، فالكلمة الأولى مذكرة ، والثانية مؤنثة . وكلتاهما ترجعان إلى أصل واحد ، وهو (القول) وقد وردت الكلمتان في كلام العرب ، فمن ورود المقال مذكرا قول زهير بن أبي سلمى (ديوان صنعة الشنتمري ، ٢٦٨) :

لما أسمعتكم قذعا ولكن لكل مقام ذي عان مقال

وقول حميد بن ثور الهلالي (ديوان صنعه عبد العزيز الميمني ، ٨٩)

أتاني عن كعب مقال ولم يزل لكعب يمين من يدي وناصر

وقول ثعلبة بن صعير المازني في (المفضليات للمفضل الضبي ١٣١) :

حتى تولّى يومهم وتروحوا لا يثنون إلى مقال الزاجر

ومن ورود (المقالة) مؤنثة ، قول حذيفة بن أنس الهذلي : (شرح ديوان الهذليين للسكري ٢/٥٥٤) :

وقولا لهم مني مقالة شاعر ألمّ بقول لم يحاول ليفخرا

وقول الحطيئة (ديوانه ١١٣) :

هنالك لا أخشى مقالة قائل إذا انتذب العزّاب في الحجرات

وقول عنترة بن شداد العبسي (ديوانه ٣٣٦) :

تحنن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالاً [1]

وقد جاء استعمال كلمة مقالة في النصوص الدينية والأشعار العربية القديمة بمعنى الكلام الذي يحمل خبراً أو يعرض رأياً ، من ذلك ما جاء في الحديث : " نضر الله عبدا سمع مقالتي ثم بلغها عني .. الحديث"[2] . ومن الشعر قول النابغة :

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع [3]

وقال مروان بن أبي حفصة :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أم تسترون هلالها
أم تجحدون مقالة من ربكم جبريل بلغها النبي فقالها [4]

قال منذربن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة :

مقال كحد السيف وسط المحافل فرقت به ما بين حق وباطل [5]

ومهما يكن فإن المعنى اللفظي لكلمة المقالة لا يسلمنا إلى دلالاتها الاصطلاحية ، التي نحن بصدد الحديث عنها ، لكننا سنؤكد ابتداءً أن محاولة إيجاد تعريف شامل وكامل للمقالة أمر صعب ، فمهمتنا عرض بعض محاولات التعريف السابقة ثم نتبع ذلك بتحليل لهذه التعريفات يكشف عن سبب تباينها ، وفيما يلي عرض لبعضها :

أ – أشهر تعريف للمقالة هو ما ذهب إليه الدكتور جنسون ( ) (١٧٠٩ – ١٧٨٤ م) الذي يقول فيه : " إن المقالة وثبة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام ، وهي قطعة إنشائية لا تجري على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها في نفس صاحبها ، أما الإنشاء المنظم فليس من المقال في شيئ "[6] . وواضح من هذا التعريف أن الزمن تجاوزه بتطور المقالة وانضباطها .

ب – تذهب دائرة المعارف البريطانية إلى " أن المقالة هي إنشاء متوسط

فلئن صرمت الحبل يا ابنة مالك وسمعت في مقالة العذّال

١) محمد بن مكرم بن علي ابن منظور ، لسان العرب (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م)

٢) ابن ماجه : سننه ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦ م) ، ٤٥ .

٣) النابغة الذبياني ، ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧) ، ٣٤ .

٤) حسين عطوان ، شعر مروان بن أبي حفصة ، (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٣ م) ، ٩٩ .

٥) أحمد بن محمد المقري ، نفح الطيب ، (بيروت : دار صادر، ١٩٦٨ م) ، ٣٧٣/١ .

٦) عبد العزيز شرف ، أدب المقالة ، (بيروت : مكتب لبنان ١٩٩٧ م) ، ٧

الطول يكتب نثراً عادة ، ويعالج موضوعا بعينه بطريقة بسيطة موجزة ، على أن يلتزم الكاتب حدود هذا الموضوع ويكتب عنه وجهة نظره هو "[1] .

ج – وفي الموجز الحديث للأدب الإنجليزي : " تأليف غير مطرد يتعلّق بموضوع خاص دائما أقصر وأقل منهجية من الرسالة ، أو هي بحث قصير"[2].

د – جاء في قاموس (إكسفورد) الإنجليزي : "تأليف متوسط الطول حول موضوع خاص ، أو فرع من موضوع ، أو قطعة غير منتظمة محدودة المدى"[3].

هـ - يعرفها محمد يوسف نجم بقوله : " قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق "[4] .

فنلاحظ هنا أن النقاد لم يتفقوا على تعريف محدد للمقالة ، ولعل ذلك يرجع كما يتضح لي من التأمل في كل تعريف إلى أسباب هي :

١ – تطور النوع الأدبي عبر العصور ، فالمقالة مرّت بمراحل تكوين مختلفة حتى وصلت للحالة الراهنة .

٢ – صعوبة السيطرة على المقالة من جانب تحديدها بإطار لا تخرج عنه ، فالتعريفات تشتمل على ألفاظ يقدرها كل كاتب أو ناقد كما يشاء ، مثل : متوسط ، موجز ، حدود ، أقصر ، أقل منهجية ، وجهة نظره ، بحث قصير ، عفوية ، محدودة ، سريعة .

٣ – ذاتية الكاتب كما تشير التعريفات له دخل في صلب المقالة من جهة طريقة التناول وتحديد المضمون ، لذا تنعكس نفسيات الكتاب وأفكارهم المختلفة والمتباينة على طبيعة فن المقالة .

نخلص من هذا أن محاولات تعريف فن المقالة كما هي الحال مع معظم الفنون الأدبية ستستمر استمرار بقاء النوع الأدبي حياً متطوراً ومتداخلا مع أجناس أدبية أخرى .

ثانيا : جذور تاريخية

نشير ابتداءً إلى أن بذور المقالة ظهرت في أدبنا العربي منذ القرن الأول للهجرة ، ولعل خير ما يمثلها الخطب والرسائل وخاصة الإخوانية والعلمية ، إذ تتفق هذه الأنواع الأدبية القديمة في بعض خصائصها مع

١) السابق ، ٧

٢) عبد القادر رزق الطويل ، المقالة في أدب العقاد ، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، ٣١

٣) السابق ٣١ .

٤) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، (بيروت : دار الثقافة . ط ٥ ، ١٩٨٨ م) ، ٩٥

المقالة بمفهومها الحديث .

وتمثل الخطب مرحلة شفوية للمقالة ، فهي تحمل بعض خصائصها وتعتبر بمثابة الصورة الأولى لها ، إذ أن كثيراً من الخطب سواء ألّف أو ارتجل يمتاز باللفظ المختار المنتقى ، ويهدف إلى التأثير الشديد في النفس، ويعبّر عن مشاعر المتكلم في أمر يهمه ، وهذه الأمور تجعل تلك الخطب لا تكاد تختلف عن المقالة ، ويمثل ذلك كتاب نهج البلاغة ، الذي اشتمل على خطب تعد قطعا نثرية رائعة الأسلوب في مواضع شتى ، مثل الناصعة في الكبر وتقبيح الاختلاف ، وخطبة الأشباح وفيها وصف السماء والأرض والسحاب وغير ذلك[1] .

بعد الخطابة ظهرت الرسائل الفنية في القرن الثاني حيث تمثل خطوة ثانية للمقالة العربية . ولو تتبعنا التراث العربي لوجدنا أمثلة مستفيضة من رسائل وفصول تقترب كثيراً من المقالة ، وحسبنا أن نعرض النماذج التالية:

أ – رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب ، التي عرض خلالها طبيعة الكتابة الديوانية ، وأبرز في عرضها الجوانب الخلقية التي يتحلى بها الكاتب ، ومما جاء فيها : " أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فإن الله جعل الناس أصنافا وإن كانوا في الحقيقة سواء .. فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الآداب ، تفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عزّوجل والفرائض ، ثم العربية ، فإنها ثقاف ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعلموا غريبها ومعانيها وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم)[2].

وإذا أردنا أن نقارب بين هذه الرسالة والمقالة اليوم لصنفناها مقالة نقدية لإبرازها أهم مرجعيات الكاتب الثقافية وأدوات الكتابة الفنية .

ب – رسائل الجاحظ ذات الطابع الأدبي ، من ذلك (رسالة الجد والهزل) التي كتبها بعد أن جفاه ابن الزيات ، يقول فيها : " ولست أدري لما كرهت قربي وهويت بعدي ، واستثقلت روحي ونفسي واستطلت عمري وأيام مقامي ولم سرتك سيئتي ومصيبتي وساءتك حسنتي وسلامتي ،

---

١) محمد عوض محمد ، محاضرات عن فن المقالة الأدبية ، (القاهرة : معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٥٩ م) ، ٩، ١٢ .

٢) أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، (القاهرة : دار نهضة مصر، دت) ١٩٩ .

حتى ساءك تجملي بقدرما سرَّك جزعي وتضجري .. "[1] .(ورسالة التربيع والتدوير)التي سخر فيها من أحمد بن عبد الوهاب ، وهاتان الرسالتان تقتربان في أسلوبهما ومضمونهما في المقالة الساخرة حديثاً .

ج – يأتي أبوحيان التوحيدي بعد ذلك بنماذج للمقالة ، منها رسالة له عن الصداقة يقول فيها : " الصداقة – أطال الله مدتك – التي أكدها الله بيننا بالدين أولاً ، ثم بالجوار ثانياً ، ثم بالصناعة ثالثاً ، ثم بالمعالجة رابعاً ، ثم بالمنشأ خامساً ، ثم بالمعاقرة سادساً ، ثم بالتجربة سابعاً ، ثم بالألفة ثامناً ، ثم بالميلاد تاسعاً ، ثم بانتظام هذه كلها عاشراً ، تتقاضاني لك حقوقاً أنت عن التقصير فيها أغنى ، وأنا بالإعفاء منها أملى"[2]. وواضح من هذه المقالة أنها تمثل المقالة الاجتماعية .

وبعد ذلك تنوعت الكتابة وازدهرت ، لكنها بعد أبي حيان التوحيدي سرعان ما أصيبت بداء المحسنات البديعية وأسلوب السجع ، الأمر الذي جعلها تفقد العفوية والتلقائية ، ليكبلها الكتاب بالقيود والتعقيد والتصنع ، حيث استمرت في هذا المرض وأمراض أخرى حتى العصر الحديث[3] .

ثالثا – مسيرة المقالة في الأدب العربي الحديث

ارتبط ظهور المقالة بشكلها الحديث في أدبنا العربي بوجود الصحافة لأنها تمثل أداتها الأساسية ، والكتاب العرب أخذوا شكلها الحديث من الغربيين[4] لا من أسلافهم ، وقد مرت المقالة العربية الحديثة في تطورها بمراحل يصعب تحديدها بشكل شامل للبلاد العربية ، وذلك راجع لاختلاف طبيعة التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل قطر عربي ، وسنقتصر هنا على تتبع مسيرة المقالة في مصر لأن نشأة الصحافة العربية الأولى كانت في مصر ، ووجود الصحافة مرتبط بوجود المقالة ، وما يحدث في مصر ينعكس غالبا على البلاد العربية وإن تأخر

---

١) عمروبن بحر الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح ، عبد السلام هارون ، (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م) ، ١ : ٢١٣ .

٢) أبو حيان التوحيدي ، الصداقة والصديق ، (القاهرة : مكتبة الآداب ، ١٩٧٢ م) ، ٩٠ .

٣) محمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، (الدوحة : دار قطري بن الفجاءه، ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) ، ٩٨ .

٤) شوقي ضيف ، الأدب العربي المعاصر في مصر ، (القاهرة : دار المعارف ، ط ٧ ، ١٩٧٩ م) ، ٢٠٥.

الزمن ، وفيما يلي عرض لأبرز الملامح العامة التي صاحبت تطور المقالة عبر مراحلها التالية :

المرحلة الأولى

ويمثلها كتّاب الصحف الرسمية ، وتبدأ بصدور صحيفة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ م إذ أتاحت فرصة واسعة لنشر مقالات أدبية عن الشعر والمقامات والأدب العربي القديم ، ومقالات علمية عن العلوم الأوروبية الحديثة كمقالات الشيخ رفاعة الطهطاوي عن الاقتصاد السياسي ومقالات تدور حول مشاهدات رفاعة الطهطاوي في باريس ، وتتعرض بعضها للمشاكل الاجتماعية ، ولبعض العقبات التي تعترض رسالة المدارس الحديثة . ومن ناحية الأسلوب تتسم مقالات هذه المرحلة باعتمادها على السجع والمحسنات مما عطل جلاء بعض معانيها وراء الزخارف البديعية المتكلفة . ومن المؤكد أن مقالات هذه المرحلة تكمن أهميتها في كونها نقلت إلى أدبنا في المقال العربي وغطت أنواعها المعروفة في ذلك الوقت[1] .

المرحلة الثانية

وتبدأ بالثورة العرابية ، وهي قصيرة زمناً ، لكنها حفلت بصراع سياسي وفكري دائم ، مما انعكس على المقالة ، ومن أشهر كتابها جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعبد النديم ، وأديب إسحاق ، وسليم النقاش ، وإبراهيم المويلحي ، ومحمد عثمان جلال ، وعبدالرحمن الكواكبي ، وغيرهم ، الدارس لمقالات هؤلاء يلاحظ أن نبرة مقالات هذه المرحلة تفاوتت بين نبرة هادئة ونبرة غاضبة ثائرة على نحو ما نجد عند عبد الله النديم ، وبين ذلك برزت نبرات إصلاحية تتخذ موقفا وسطا بين الهدوء والثورة[2] .

وقد ابتعد كتاب هذه المرحلة عن السجع وقيوده إلى حد بعيد ، واقتربوا من المجتمع ، وذلك بتأثير الشيخ محمد عبده وحركته الإصلاحية . ومن أهم الصحف التي كتبوا فيها : الأهرام ومصر والتجارة والفلاح والحقوق[3] .

---

١) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ٦٥ . ومحمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، ١٠٧ .

٢) محمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، ١٠٨ . وشفيق البقاعي ، أدب عصر النهضة ، ٢٠٩ .

٣) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ٦٦ .

المرحلة الثالثة

وتبدأ مع بداية القرن العشرين ، وعكست مقالات هذه المرحلة الحياة السياسية المضطربة ، وتفجر الحياة الحزبية ، إذ سرعان ما عرفت مصر الحزب الوطني ، وحزب الأمة ، وحزب الإصلاح على المبادئ الدستورية ، وحزب مصر ، وكانت صحف اللواء والجريدة والمؤيد والمقطم ، لكل حزب منها على التوالي ، ومن أبرز كتاب المقالات مصطفى كامل ولطفي السيد ، كما تتميز هذه المرحلة بزيادة دور المجلة ، لأنها بطبيعتها أكثر اعتمادا على المقالة من الصحف ، وقد أفردت المقتطف والهلال والمنار واللطائف مساحة واسعة لفن المقالة[1] .

وخطا كتّاب هذه المرحلة بالأسلوب الأدبي خطوات جبارة ، فخلصته من قيود الصنعة والسجع ، وأطلقته حرا بسيطا حملته من الأفكار والمعاني تفوق حمولته من الزخرف والعبث البديعي[2] .

المرحلة الرابعة

وتبدأ مع بداية الحرب العالمية الأولى ، وخلالها حدثت أحداث جسام ، أدت إلى أزمات كثيرة ، وصراعات بين جماعات المصريين على القضايا السياسية والقضايا الاجتماعية والقضايا الأدبية ، ولكل مجال منها فرسانه ، الذين كتبوا انتصافا لوجهات نظرهم ، ولا يسهل حصر كتاب المقالة في هذه المرحلة ، ومن أعلامهم عبد الحميد حمدي ومحمد فريد وجدي ، ومحمود عزمي ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، وعبد القادر حمزة ، وعبد العزيز البشري ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، ومحمود تيمور وغيرهم .

والمتتبع لمقالة هذه المرحلة يجد أنها تخلصت من أساليب السجع والمحسنات الأخرى ، وبدت تتميز بالدقة والشمول ، باعتمادها على الثقافات الحديثة المنقولة عن الغرب .

أما الصحف والمجلات فقد تعددت إبان هذه المرحلة تعدداً كبيراً ، لزيادة طبقات القراء زيادة كبيرة . كما بدأت المجلات المتخصصة تنتشر بشكل واسع . وأهم ما حققته مقالات هذه المرحلة أنها ساهمت مساهمة حقيقية قوية في تهذيب أسلوب الكتابة وتطويعه لنقل الأفكار الحديثة . وخلقت طبقة عريضة من القراء ومن كتّاب المقالة[3] .

---

١) محمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، ١٠٩ وشفيق البقاعي ، أدب عصر النهضة ، ٢٠٩ .

٢) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ٦٨ .

٣) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ٧٠ ومحمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، ١٠٩ ، ١١٠

المرحلة الخامسة

وتبدأ بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتتميز بتعدد الكتّاب تعدداً جعل مجالات النشر تضيق رغم اتساعها . وباحتراف جماعة من كتاب المقالات ، وبتفرغهم تماما لكتابة المقالة في الصحف والمجلات ككتاب منتظمين في وسائل النشر . وقد استفادت هذه المرحلة من عشرات المخضرمين الأعلام الذين عاشوا المرحلة السابقة ، واستمر عطاؤهم في هذه المرحلة ، وتتسم مقالات هذه المرحلة بأنها تغطي كل موضوعات الحياة ، وإن جنحت نتيجة للظروف المتطورة إلى الكتابات السياسية بعد حرب فلسطين ، وإلى الكتابات الاجتماعية أو الإصلاحية . ولعل أهم سمة تتميز بها مقالات هذه المرحلة ، هي معرفة كتابها بالتكنيك الفني لكتابة أنواع المقالة ، حيث أصبحت المقالة فناً معترفاً به معروف الأساس والقواعد[1] .

المرحلة السادسة

وهي مرحلة المقالة المعاصرة في العقد الأخير من القرن العشرين حتى اليوم ، وتتميز بدخول المقالة في عالم الإنترنت إلى جانب الصحيفة والمجلة ، واعتمادها في الغالب على الخبر الصحفي وإن كانت ذات موضوع أدبي ، كما يلاحظ أن المقالة الأدبية تراجعت عن لغتها الأدبية المسترسلة وتوجهت إلى لغة أكثر عملية ، بل أصبح السبق اليوم للمقالات ذات السمة الاقتصادية والسياسية والفكرية .

أخيرا ، نؤكد أن المقالة الحديثة في الأدب العربي خلال مسيرتها تنوعت نماذجها واختلفت أنماطها ، فهي تتنوع أولا بالنسبة لعلاقتها بالمنشئ ، وتتنوع ثانيا بالنسبة للأسلوب ، وتتنوع ثالثا بالنسبة للمضمون . وفيما يلي عرض موجز لهذه التقسيمات :

أولا : بالنسبة للمنشئ تقسم إلى ذاتية ، وموضوعية .

ثانيا : بالنسبة للأسلوب تقسم إلى أدبية وعلمية ، وصحفية

ثالثا : بالنسبة للمضمون تقسم إلى أدبية ووصفية وتأملية ، ومقالة السيرة الذاتية ، والمقالة الاجتماعية ، والمقالة الساسية ، والمقالة النقدية ، والمقالة الفلسفية ، والمقالة العلمية ، والمقالة التاريخية ، والمقالة دينية[2] . وهذه التقسيمات لا يعني أنه لا يوجد تداخل بينها ، بل ربما خلط الكاتب بين الوضوعية والذاتية ، وجمع بين مضمون اجتماعي وسياسي في مقالة واحدة .

---

١) محمود الشريف ، المدخل لدراسة الفنون الأدبية ، ١١٠

٢) لمراجعة تفصيل هذه التقسيمات انظر ، أحمد محمد علي منظور ، فن المقال في الأدب المصري الحديث ، (القاهرة : ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م) ٦٣

مساهمة عبد العزيز الميمني في تطوير اللغة العربية في الهند

بقلم : الباحث محمد ريحان الندوي
(نيودلهي – الهند)

المدخل :

لعبت الجامعات الهندية دوراً مهماً في إثراء اللغة العربية منذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، وقامت بخدمات جليلة لتوطيد العلاقات بين الهند والعالم العربي ، وساهمت مساهمة فعالة في تطوير التراث العربي الإسلامي كتابةً وخطابةً ودراسةً وبحثاً ، ولا تزال تخدم لغة الضاد إلى الآن ، ومن أبرز رواد العربية من الجامعات الهندية في القرن العشرين هي شخصية عبد العزيز الميمني الراجكوتي الذي درس وعلم طلاب جامعة عليجراه وأفادهم مدة خمس وعشرين سنة (١) وأشرف على البحوث والدراسات القيمة ، وساهم بقلمه ولسانه وعلمه في إثراء الأدب والثقافة . وإنه كان أستاذاً وأديباً ولغوياً ومحققاً، وفي هذا البحث الوجيز نسلط الضوء على حياته العلمية ومساهمته الجليلة للغة العربية في الهند.

حياة الميمني :

ولد عبد العزيز الميمني بن الحاج عبد الكريم بن يعقوب الميمني سنة ١٣٠٦هـ ١٨٨٨م (٢) ، ببلدة راجكوت ، ومنها جاءت نسبته " الراجكوتي " في مقاطعة جام نغر من ولاية غجرات حالياً. أما نسبته الميمني فيقال : إن أصله كان من السند ، دخل أهلها في حظيرة الإسلام على يد بعض المرشدين من الطريقة الجيلانية ، ولعل ذلك في القرن التاسع الهجري ، فإن آباءهم قد هاجروا من السند إلى كاتهياوار في أيام الملوك المظفرية بأحمد آباد قبل إمبراطور أكبر (٣) .

نشأ الميمني وترعرع في أسرة دينية عريقة في التجارة ، ونذر والد الميمني لله سبحانه وتعالى إن رزق له ولد فإنه يخصصه للتعليم الديني وخدمة الإسلام والمسلمين، كما يذكر الميمني بياناً عن سيرته الذاتيه "لما كان أبي نحو العشرين من عمره أخذ يتردد إليه_ عبد الخالق الكاشميري العالم الجليل_ ويجلس في حلقاته ، فتأثر بدعايته السلفية بحيث لما تزوج وهو في ٢٢ من عمره عاهد الله أنه إن ولد له ولد فإنه يخصصه لتعليم الدين، فولدت بعد عامين، فكنت بكر أولاده" (٤) .

أرسله أبوه إلى كتاب أهل القرية للتعليم الديني، فتلقى التعليم الابتدائي على عادة أبناء عصره في الكتاتيب المحلية والمدارس الدينية ، ثم استكمل دراسته العليا في لكناؤ و رامفور و دهلي، وتتلمذ على عدد غير قليل من العلماء

المشهورين في عصره من أمثال: حسين بن محسن الأنصاري الذي أجازه برواية الحديث الشريف، ونذير أحمد الدهلوي، ومحمد الطيب المكي (٥)، مما منحه القدرة الفائقة على التعمق في علوم اللغة العربية، وأكب على دواوين الشعراء العرب فحفظ المعلقات العشر، وديوان المتنبي، وديوان الحماسة كلهما كاملا، وما إلى ذلك من كتب الأدب الشهيرة (٦).

بدأ العلامة الميمني مهنة التدريس بالكلية الإسلامية ببشاور سنة ١٩٢١م، فعمل مدرساً للغتين العربية والفارسية، ثم انتقل منها إلى الكلية الشرقية بمدينة لاهور عاصمة ولاية بنجاب، ولكن أصبح الجو فاسداً بسبب سيطرة الإنجليز على الكلية فسافر إلى جامعة عليجراه الإسلامية، وعين أستاذاً مساعدا في قسم اللغة العربية في محل الشيخ عبد الحق البغدادي سنة ١٩٢٥م (٧)، وتدرج في مناصبها حتى تم تعيينه كرئيس لقسم اللغة العربية، حيث استمر في خدمة اللغة العربية وأبنائها في الجامعة إلى أن بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٥م، ثم توجه إلى قسم اللغة العربية بجامعة كراتشي بناءا على طلب من أصحابه ليصبح رئيسا له، والمدير المؤسس لمعهد البحوث الإسلامية، وأخيرا عرضت عليه الأستاذية والرئاسية لقسم اللغة العربية بالكلية الشرقية لجامعة بنجاب بلاهور في عام ١٩٦٤م (٨). وعاد فيما بعد إلى كراتشي سنة ١٩٦٦م حيث قضى بها ما بقي من حياته كاتباً وباحثاً، عابداً وساجداً، ذاكراً وشاكراً لنعم الله عليه حتى وافته المنية ولبى نداء ربه يوم الجمعة في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٩٨هـ، والسابع والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٨م، وقد تجاوز من عمره التسعين (٩). رحم الله امرءا قضى حياته في تحقيق ما عاهده والده قبل ولادته لخدمة لغة القرآن والسنة وإحياء التراث الإسلامي.

مساهمة الميمني في البحث والتحقيق:

كان العلامة الميمني أستاذا ماهراً وأديباً شهيراً ومحققاً ممتازاً ولغوياً فريداً، هذا ليس بادعاء فقط، بل تأليفاته وتحقيقاته خير شاهد على ذلك. وما اعترف بفضله العجم فقط بل أثنى عليه وأشاد به علماء العرب، قال الشيخ شاكر الفحام في مقدمة مجموعة " بحوث وتحقيقات للعلامة عبد العزيز الميمني": "كان العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي نسيج وحده في علوم العربية وآدابها. أحب العربية أكرم حب، ووقف نفسه لدراستها وتدريسها، وقضى حياته يطوف في رياضها فتذوق جناها الطيب تذوق عارف خبير وأدرك أسرارها وإعجازها، وسحر بيانها، فروى نفسه من معينها العذب حتى تضلع". إلى أن يقول: "كان للأستاذ الميمني الباع الطويل في التحقيق، وقد خلف في هذا الباب ثروة طائلة، تتجلى في المقالات الكثيرة، والرسائل والكتب التي حققها. وكتاب (سمط اللآلي) هو واسط العقد والنموذج المختار لمقدرة الميمني ومنهجه في التحقيق. إنه يروعك في سعة علمه ومدى إحاطته وهو يخرج النصوص: شعرها ونثرها، وكأن المصادر

العربية بين يديه ، يستخرج منها ما يشاء . وكل ذلك في عبارة رشيقة غاية في الإيجاز. قد جعل ديدنه أن ينظم المعاني الكثيرة بالكلمات القليلة"(١٠).

هذه شهادة تاريخية من كاتب عربي لا يمكن للمنكر إنكارها ولا للجاحد أن يجحدها ، فهذا معروف لدى كل دان وقاص ، إنه كان إمام العربية ومحقق العصر خلف وراءه أكثر من ثلاثين كتاباً محققاً . وكانت للميمني إسهامات رائعة في مجال التحقيق للتراث العربي ونشره ، وكان لمصر فضل التعريف به وإظهار علمه على مستوى عال في العالم العربي فقد نشرت له مطابعها كثيرا من تحقيقاته ، فعلى سبيل المثال أذكر منها : " سمط اللآلي " ، و " الطرائف الأدبية " ، و " كتاب الفاضل " للمبرد ، و " ديوان حميد بن ثور الهلالي " ، و " ديوان سحيم عبد بني الحسحاس " ، و " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد " كلاهما للمبرد ، و " ما تلحن فيه العامة " للكسائي ، و " كتاب المنقوص والممدود " للفراء ، و " التنبيهات على أغاليط الرواة " لعلي بن حمزة وما إليها .

كتاب " سمط اللآلي " لأبي عبيد البكري ، حينما تم نشره بتحقيق العلامة عبد العزيز الميمني أثار ضجة في الأوساط العلمية واكتسب الكتاب له صيتاً وسمعةً لدى القراء والدارسين والمحققين . وقد صدر هذا الكتاب في مجلدين عام ١٣٥٤هـ ١٩٣٦م ، واسم الكتاب كان " اللآلي في شرح الأمالي " ، فكلمة " سمط " من وضع الأستاذ الميمني . يقول الدكتور محمود محمد الطناحي عن هذا الكتاب : " من أنفس ما أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر، من كتب التراث ، كتاب سمط اللآلي لأبي عبيد البكري بتحقيق العلامة الثبت عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، قد أبان العلامة الميمني في تحقيق هذا الكتاب ، عن علم غزير، وإحاطة جامعة بالتراث العربي ، ومداخلة الكتب ، واستنطاقها ، وبراعة التعامل معها . ويعد تحقيق هذا الكتاب آيةً من آيات الإبداع ، في تحقيق النصوص وتوثيقها ، وقد كانت حواشيه - ولاتزال- معيناً ثراً ، وكلاً مباحاً لمحققي الأدب " (١١) .

مساهمة الميمني في مجال التأليف :

من تأليفاته القيمة كتاب " إقليد الخزانة " وهو فهرس الكتب الواردة في " خزانة الأدب " للبغدادي ، " فائت شعر أبي العلاء " في شعر أبي العلاء المعري ، وكتابه النافع الشهير " أبو العلاء وما إليه " وحينما وصل هذا الكتاب إلى العالم العربي في أيادي العلماء الأفاضل أشادوا به واعترفوا بفضل صاحب هذا الكتاب، وإليكم بعض الأقوال للعلماء البارزين عن هذا الكتاب. فهذا عبد الوهاب النجار مدرس دار العلوم بمصر يقول عن الكتاب : " قرأت كتاب " أبو العلاء وما إليه " الذي كتبه العلامة المحقق الواسع الاطلاع السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي، فوجدته كتاباً ممتعاً قد جمع إلى الفوائد الأدبية التحقيق الدقيق ، والعناية الفائقة بتحقيق المسائل ، وتصحيح غلط المؤلفين في شأن أبي العلاء وتزييف ما راج عندهم من الأوهام الباطلة ، برد الحق إلى نصابه وإبراز الحقائق ناصعة

الجبين سافرة المحيا . والكتاب ينبئ عن سعة اطلاع كاتبه وصفاء ذهنه ونفوذ بصيرته ، وتنزهه من المحاباة وبرائته من المجاملة لاتأخذه فيما يراه حقا لومة لائم " (١٢) . ويقول العالم الفاضل أحمد محمد شاكر من علماء الأزهر الشريف القاضي الشرعي في مصر في رسالته إلى الأستاذ الميمني : " وقرأت كتابكم (أبو العلاء وما إليه) فاستعدت تقريظ كتاب ، فلم أملك قلمي عن الكتابه إليكم ، ووجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل ما يستحقه موضوعه من الأدلة والحجاج ، مع دقة نظر وحسن ترتيب " (١٣) .

مساهمة الميمني في مجال التدريس والإشراف على البحوث :

مهنة التدريس والتعليم هي التي اختارها العلامة عبد العزيز الميمني طول حياته لكسب القوت والارتزاق ، فدرّس في الكليات والجامعات الشهيرة في الهند والباكستان ، فقد درّس في عليجراه منذ ١٩٢٦م إلى سنة ١٩٥٥م ، وبعد ذلك انتقل إلى باكستان فقدره رجال باكستان حق قدره وعينوه أستاذا ورئيسا لقسم اللغة العربية في جامعة كراتشي ، ثم في جامعة بنجاب فطالت مدة خدمته للغة العربية وآدابها مالم يتيسر لغيره من المعاصرين ، أشرف على عديد من البحوث والدراسات التي قام بها الباحثون تحت إشرافه ، فمنهم الدكتور محمد يوسف (أستاذ بجامعة فؤاد الأول، القاهرة) الدكتور خورشيد أحمد فارق (كلية دهلي الانجلو العربية) الدكتور مختار الدين أحمد آرزو (أستاذ قسم اللغة العربية بجامعة عليجراه الإسلامية ، ومؤسس مجلة المجمع العلمي الهندي) وإضافة إلى ذلك عمل عدد من الباحثين تحت إشرافه ، ولكنهم لم يكملوا دراساتهم من مثل: السيد نبي بخش بلوج ، شبير أحمد غوري ، ورياض أحمد الشرواني وغيرهم (١٤) .

أسلوب الميمني في التحقيق والكتابة :

يمتاز أسلوب الميمني باختيار الكلمات السهلة لأداء المعنى الجليل ، فعباراته أنيقة وتراكيبه متينة وتحقيقاته ممتازة . يقول العلامة الميمني عن شعر الأفوه الأودي : " قد عبرنا دهرا ننقب عن رؤيته الحكمية ، فلم نعثر منها بعد الفحص الطويل إلا على أفذاذ أبيات لم تكن تروي الغليل شيئا ، فكاد يستولي علينا اليأس ، إذ برز جبين الصباح ، وبدا بشير الفلاح والنجاح ، فبشرنا بوجود تسع قطع في خمسة أوراق " (١٥) . بعد ذكر هذه القطعة القصيرة يقول الدكتور علي جواد الطاهر نظراً إلى أسلوبه وطراز كتابته : " فانظر هذه المفردات وسياقها في الكلام ، بعد أن تنظر في مأتاها ، وهو إخلاص الرجل للعربية ومعيشته لها وسروره بها ، وتلك شروط لابد منها للاقتراب منها والحصول على شيئ من قيادها، فهل حققنا نحن العرب هذه الشروط ؟ كما حققها ذلك الهندي الكريم الجليل! جرت العربية في دمه فبذل في خدمتها أضعاف أضعاف ما بذله أبناؤها، وكأنه يقول : إنها لنا كما هي لكم..... فارجعوا إلى المنبع وانهلوا من المورد " (١٦) . ويقول الدكتور شاكر الفحام عن الأسلوب العلمي للعلامة الميمني في كتاباته : " و رزق الميمني ملكة التعبير فأسلست له العربية قيادها ، يصرفها كما يشاء ،

فتميز بأسلوبه المشرق المعجب يمتع الناس بنصاعة بيانه ورواء ديباجته ، إنه ليذكرك بأولئك المبدعين من كتاب القرن الرابع الهجري " (١٧) .

مساهمة الميمني في مجال الشعر:

ما كان العلامة عبد العزيز الميمني شاعراً مبدعاً مطبوعاً ، ولكن على الرغم من ذلك كله قد أعطاه الله موهبة القريض ، ما ترك ديوانا للشعر ، ولكن نرى بعض القصائد العربية التي تدل على ملكته الفائقة في قرض الأبيات العربية، فإنه كان يقرض الأبيات في الأردية والفارسية كذلك . والسبب على عدم وجود ديوانه هو عنايته القليلة بقرض الأبيات العربية ربما كان يرى شعره دون منزلته التي كان فيه أو بما أنه كان يقوم بالأعمال العلمية والأدبية النثرية فلا يجد فرصة لنظم الأبيات والقصائد.

بيد أنه ألقى قصيدة رائعة أمام الحشد من الناس في الحفل الذي عقدته جامعة عليجراه الإسلامية على مرور خمسين عاماً على تأسيسها سنة ١٩٢٥م ، وحضر فيه من الوجهاء والأعيان من المسلمين ، فها هي بعض الأبيات منها...

سلام على خير البقاع عليكر ومصبحها في ظل أمن وممساها
سلام عليها، إن طيب نسيمها يجدد في قلبي على الدهر ذكراها
على أنها بالهند أول معهد لتأديب ناشيها قد أسس تقواها
وفتيان صدق لايمل حديثهم تجرد في نشر المعارف مسعاها
تخرج خصيصون منها بسبقهم فأجروا عيونا للعلوم وأمواها
وصاروا هداة قادة لبلادنا من السبل سبل السالكين لأهداها(١٨)

ملخص القول :

وزبدة القول وعصارة الحديث أن العلامة عبد العزيز الميمني كان من أساطين الأدب العربي الهندي ، وأحد رواد الباحثين المحققين الذين أنجبتهم أرض الهند عبر العصور ، كان من مفخرة البيان ، وعلامة الزمان وأستاذا للجيل، فاعترف بفضله العرب والعجم وجميع الأوساط العلمية والدينية — والعلامة الميمني يستحق أن يأخذه أبناء الجامعات والمدارس بعين الاعتبار كنموذج مثالي في مجال البحث والتحقيق والدراسة .

الهوامش :

(١) جوانب مجهولة من حياة عبد العزيز الميمني ، مقالة د. ظهور أحمد أظهر باكستان، ص ١٥٣، مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد٢٩-٣٠، الصادرة من مركز جمعية الماجد بدبي .

(٢) العاجز عبد العزيز الميمني ، مقالة عبد العزيز الميمني، ص١٧، بحوث وتحقيقات (مجموعة مقالات وبحوث للعلامة عبد العزيز الميمني) الجزء الأول ، أعدها للنشر محمد عزير شمس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٥.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨.

(٤) نفس المصدر، ص ١٩.
(٥) نفس المصدر، ص ١٩.
(٦) كتب أعجبتني ، مقالة عبد العزيز الميمني ، ص ٢٢، بحوث وتحقيقات ، الجزء الأول ، أعدها للنشر محمد عزير شمس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٥.
(٧) مجلة عليجراه الإسلامية (عليكره ميغزين) "جوبلي نمبر" ص ١٠.
(٨) ذكريات رائعة عن الأستاذ عبد العزيز الميمني ، د. عبد الله جغتائي ، ص ٣٢٤، مجلة المجمع العلمي الهندي ، العدد الحادي عشر (عدد ممتاز) سنة ١٩٨٦م .
(٩) عبد العزيز الميمني ، مقالة د. أحمد خان ، ص٢١٠، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٥٥ الجزء الأول .
(١٠) مقدمة بحوث وتحقيقات ، د. شاكر الفحام ، ص٧-٨ الجزء الأول ، أعدها للنشر محمد عزير شمس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٥.
(١١) مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ، د.محمود محمد الطناحي ، ص١٢٨، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٨٤.
(١٢) أبو العلاء وما إليه ، عبد العزيز الميمني ، ص ٣٢٣، الطبعة الأولى ، دار المصنفين أعظم جره ، الهند، ١٣٤٤.
(١٣) نفس المصدر، ص٢٩٨.
(١٤) حياة الميمني كما رواها بنفسه ، مقالة مختار الدين أحمد آرزو ، ص ٣٥ ، مجلة المجمع العلمي الهندي، (عدد ممتاز) العدد العاشر سنة ١٩٨٦.
(١٥) الطرائف الأدبية للإمام عبد القاهر الجرجاني ، خرجه وصححه وعارضه على النسخ العلامة عبد العزيز الميمني ، ص ٤، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، بالقاهرة ١٩٣٧.
(١٦) العربية على قلم هندي ، د.علي جواد الطاهر، ص٣١٢، مجلة المجمع العلمي الهندي ، المجلد الحادي العشر، ١٩٨٦.
(١٧) مقدمة بحوث وتحقيقات ، د.شاكر الفحام ، ص٩، الجزء الأول، أعدها للنشر محمد عزير شمس ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥.
(١٨) عبد العزيز الميمني مآثره وأعماله ، د. عبد الحليم جشتي ، ص٣١٠، مجلة مجمع العلمي الهندي ، المجلد العاشر ١٩٨٦.

من تاريخ الهند الجديد

الدستور الهندي والأقليات

د/ محمد سلمان خان الندوي
الأستاذ المساعد في كلية ممتاز لكناؤ الهند
drsalmannadwi@gmail.com

الديمقراطية هي الحكومة الذاتية ، وهي تقاد بالناس في صالح الناس و تزادد أهمية الديمقراطية و قيمتها في بلادنا الهند لكونها متصلة بنظام ديمقراطي ، والعامة ينتخبون رئيس البلاد ورئيس الوزراء لقيادة البلاد ، فالحائز على الأصوات الغالبة يكون محبباً لدى الجماهير والعامة والشخص الذي يحصل على أكثر الأصوات يكون معاضداً لهم ، فعلى العامة والجماهير أن يقودوا البلاد ، وقد ظهر جلياً أن الهند تعتبر أكبر بلاد ديمقراطية في العالم ، والديمقراطية في بلادنا ليست صورة مبتدئة بل أهدافها الرئيسة تشتمل على تكافل التعايش السلمي للعائشين في البلاد وجميع الطبقات والأسر ، بغض النظر عن الطبقات الخاصة وفق النظام الاجتماعي تهدف اجتماع المعاهد في البلاد وخارجها .

استقلت بلاد الهند بعد الحروب الطاحنة والمقاومة الشديدة ضد الاستعمار البريطاني الغاشم وأصبحت غير خاضعة لقيود العبودية تحت لواء زعماء الهند الكبار من المسلمين وغيرهم . إذا ألقينا نظرة على الأحوال الديمقراطية وجدنا أن بلادنا الهند أعظم بلاد ديمقراطية حيث بلغت أعداد الناخبين أكثر من ملايين مواطن ناهض سن البلوغ من سكان الهند ، وبلغت الإحصائيات حدها مع ما فيها من معتنقي أفكار الديانات المختلفة ، ومع ذلك لا تعوق هذه الأفكار والديانات دون أفكارنا العالية والحرية ونظامنا المثالي النموذجي ، يفكر المعتقدون بالتشاءم أن الفوضى والتوتر سيؤدي إلى القضاء على النظام الهندي وتعكر جوها الصالح ولكن الحقيقة الصارخة على العكس ، وقد أبطلت الانتخابات الماضية في الولايات والمراكز هذه الأفكار والمعتقدات، قد حق لنا أن نقول : إن الديمقراطية قد رسخت أقدامها

ومدت جذورها في الهند ، إن دستور الهند ونظامها أساسي ديمقراطي وهو مثال لجميع البلدان الديمقراطية الجديدة لآسيا ، وله ميزة خاصة على الولايات والقطاعات الأخرى ، بالإضافة إلى ذلك فإن الديمقراطية الهندية حافلة بالوسائل والمعدات العديدة للنجدة والراحة لمواطني البلاد ، ولذلك لا تزال محفوظة مصونة على البلاد الأخرى ، كما يقال : " إن صوت الجماهير تعد صوت الرب في بلاد ديمقراطية ، ومواطنوها هم البناء للبلاد ولهم دور أكبر في إقامة البلاد مقام بناء نموذجي ، وفي هذا يتحمس الجما هير ويتيقظون لاستخدام الوسائل لمعالجة قضايا البلاد وحل الاشتباكات التي يتورطون فيها وهم قادرون على التدخل في شئون الحكومة لإيجاد الإصلاحات الديمقراطية .

أرسيت مباني الديمقراطية على أساس المؤاساة والمؤاخاة والحرية والتضامن والوئام والتعايش السلمي وفيها حقوق متساوية بين الأغنياء والفقراء بغض النظر عن دياناتهم وأنسابهم وشيوخهم وشبابهم ويقدر كل أحد على إدلاء الصوت بدون خوف و تردد ، وللجماهير والعامة أن ينددوا بالحكومة و مواقفها المضادة لهم ، ولكن هناك ناس يسيئون استخدام الحرية باسم الديمقراطية ، ومعلوم لدى الجميع أن الدوائر التنفيذية في البلاد قد وقعت في مزبلة الفساد والفوضى لكون المواطنين جاهلين عن نظام الحكومة وليسوا متيقظين سياسياً فيثأرون باسم استخدام القانون لصيانة حقوقهم ، وإذا ألقينا نظرة على الأحزاب السياسية وجدنا معظمها قاصرة عن القيام بادارة الحكومة ولذلك عمت أحداث الصراخ والضجة في البر لمان الهندى . إن الديمقراطية تطالب المواطنين والزعماء بأن يشعروا أهمية القومية والتعليم ليكونوا مطلعين تماماً على الأوضاع الحقيقية للبلاد .

توجد بعض النقائص في نظامنا الديمقراطي يجب القضاء عليها في أقرب وقت ممكن ، وعلى المواطنين أن يكونوا متصفين بالصدق واليقظة والذكاء والمصابرة ومتطوعين في مجال الاجتماع وخدمات الناس ومتفوقين بارزين في مجال السياسة ، فمعلوم أن الديمقراطية تمر بأسوء الظروف اليوم ولا يمكن حلها إلا إذا ركز الناس عناياتهم للحصول على العلم والدراسات ، وبذلك يكونون ممثلين حقيقيين للبلاد .

الحقوق الإنسانية المخولة في الدستور الهندي :

شكلت لجنة مكونة من سبعة أعضاء لصياغة الدستور الهندي برئاسة المستر بهيم راو امبيدكر في ٢٤ أغسطس ١٩٤٧ م ، و من هؤلاء الأعضاء غوبال سوامي اينغر (كبير الوزراء الأسبق لجامو وكشمير) و تي تي كرشنام جاري ، كرشنا سوامي اير (قاضي القضاة الأسبق لولاية مدراس) ، بي ايل متر (المحامي العام المسبق للهند) ، كنهيا لال مانك لال منشي (وزير الداخلية الأسبق لولاية مهاراسترا) و محمد سعدالله (كبير الوزراء الأسبق لولاية آسام ، وعندما استقال مهراجا بي ايل متر فقرر مادهو راو المستشار لمهاراجه ودوره في اللجنة . كان بي ايل اين راو منسقاً لصياغة المشروع . قدمت لجنة الجمعية التأسيسية مشروعها لصياغة الدستور في ٤ / نوفمبر ١٩٤٧ م ، و كل مادة من مواد الدستور جاءت تحت البحث والنقاش في البرلمان وأقره البرلمان في ٢٦ نوفمبر ١٩٤٩ م . وفي ٢٦ / يناير ١٩٥٠ ، تم إجراؤه . ولذلك يحتفل كل عام في مثل هذا اليوم كيوم الجمهورية الهندية ، وطبقا لهذا الدستور أصبحت الهند دولة مستقلة ، ديمقراطية وعلمانية وغير دينية .

وجاء في التمهيد لهذا الدستور (PREAMBLE) أن شعب هذا البلد يتحرر لإنشاء الحكومة ، وإن الحكومات المركزية والإقليمية سوف تقوم بتصويتهم - وكل مواطن هندي له حق التصويت . والسمة الثانية للدستور هو الاتحاد الهندي و الديمقراطية العلمانية . الدولة لا دين لها ، وجميع الأديان لها مكانة متساوية . كل مواطن هندي له حق الاستفادة الكاملة من منابع الثروات الهندية والحقوق العلمانية . ولا يحرم أي مواطن من الجنسية الهندية باتخاذ دين خاص أو الانتماء بطائفة منتخبة في منطقة معينة ، ولا يتخذ معه أي نوع من أنواع التمييز . كل مواطن يتمتع بالحرية الدينية .

وكل بلد حر وديمقراطي فيه حقوق معينة للمواطنين ولا يمكن حرمان المواطنين بها . وهي لازمة لتكوين وبناء شخصيتهم . والمراد بالحقوق الأساسية أن تحد الحكومة والمجالس التشريعية على الأعمال الاستبدادية والتعسفية . ولا يمكن إلا إذا أتيح للمواطن الحرية الفردية . ويكون له حرية التفكير والرأي ، وحرية الإسهام في المجالس والأحزاب

السياسية ، وحرية اختيار أي دين شاء . ويختار ما يشاء من حرف وعمل . وله إمكانيات وفرص لحصول الوظائف الرسمية . ويكون محفوظاً من التدخل الحكومي ، و في صيانة تامة من اعتداءاتهم ، ولكن مع ذلك يجب على المواطن أن يمارس هذه الحقوق كمواطن من هذا البلد ، ولا يلحق الأضرار بالمجتمع والبلاد ، مثل السطو أو السرقة وما أشبه ذلك ، فالحكومة لن تسمح لهم القيام بذلك . لأن أضرارها تتعدى إلى المجتمع .

دراسة بنود الدستور الهندي :

وفي جانب آخر لم يمنح الدستور الهندي الحكومة الحق فحسب بل أرشدها بأن تنفذ القانون المدني الموحد وتنزع حق الحرية للدين بموجب المادة رقم ٤٤ .

أولاً يلزم أن نشرح الدستور الهندي الذي يتضمن ٢٢ جزءاً .

الجزء الأول : يشتمل على تفاصيل المملكة وحدود مناطقها .

الجزء الثاني : ذكرت فيه قوانين الجنسية الهندية .

في الجزء الثالث ذكرت الحقوق الأساسية لسكان البلاد بكل وضوح وتفصيل[1] .

وتظهر أهمية هذا الجزء الأخير من الدستور ، لأن المادة ١٣ تشتمل على الحقوق الأساسية .

إن جميع القوانين والأوامر لهذا الدستور تطبق أولاً في منطقة واحدة من مناطق الهند ، فإن واجهت الخلاف والمعارضة عدت مرفوضة باطلة .

والحكومة لا تشرع قانوناً تسلب به الحقوق المخولة في هذا الجزء من الدستور الهندي ، فإن شرعت قانوناً يضاد هذا الجزء من الدستور فيكون باطلاً ، وذكرت حقوق وواجبات عديدة في هذا الجزء من الدستور ، منها حقوق العدالة ، وحق الاستقلال الديني ، حق الحرية وحقوق التعليم والثقافة ، حق المرافعة إلى المحاكم وغيرها .

هناك بعض المواد لهذا الدستور المشتملة من الحقوق الأساسية -

[1] دعوت سه روزه دلهي العدد الخاص عن أحوال القرن العشرين ص: ٢٩ ، ٢٨أبريل ٢٠٠٥م

Freedom to manage religious affairs.—Subject to public order, morality and health, every religious denomination or any section thereof shall have the right.

(a) to establish and maintain institutions for religious and charitable purposes;

(b) to manage its own affairs in matters of religion;

(c) to own and acquire movable and immovable property; and

(d) to administer such property in accordance with law.

.٢٧ Freedom as to payment of taxes for promotion of any particular religion.—No person shall be compelled to pay any taxes, the proceeds of which are specifically appropriated in payment of expenses for the promotion or maintenance of any particular religion or religious denomination.

.٢٨ Freedom as to attendance at religious instruction or religious worship in certain educational institutions.—(١) No religious instruction shall be provided in any educational institution wholly maintained out of State funds.

(٢) Nothing in clause (١) shall apply to an educational institution which is administered by the State but has been established under any endowment or trust which requires that religious instruction shall be imparted in such institution.

(٣) No person attending any educational institution recognized by the State or receiving aid out of State funds shall be required to take part in any religious instruction that may be imparted in such institution or to attend any religious worship that may be conducted in such institution or in any premises attached thereto unless such person or, if such person is a minor, his guardian has given his consent there to.

Cultural and Educational Rights

٢٩. Protection of interests of minorities.—(١) Any section of the citizens residing in the territory of India or any part thereof having a distinct language, script or culture of its own shall have the right to conserve the same.

(٢) No citizen shall be denied admission into any educational institution maintained by the State or receiving aid out of State funds on grounds only of religion, race, caste, language or any of them.

٣٠. Right of minorities to establish and administer educational institutions. — (١) All minorities, whether based on religion or language, shall have the right to establish and administer educational institutions of their choice[1].

القانون المدني الموحد والأقليات :

إن قضية القانون المدني الموحد من القضايا التي تثار في الهند حيناً بعد حين وترفع الأصوات لتطبيق هذا القانون الذي يزعج الأقليات ، اتخذ المجلس التشريعي للهند المستقلة الدستور الهندي بعد نظر ودراسة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٩م ونفذت البنود الأخرى لهذا الدستور في ٢٦ يناير ١٩٥٠م .

وإن الدستور الهندي مفصل تماماً نظراً إلى دستور البلدان الأخرى، فهو يشتمل على ٣٩٥ مادة ، إضافة إلى المواد الهامشية ، ولذلك ألحقت فيها ٨٠ تعديلة منذ قرار الدستور في عام ١٩٤٩م ، وكان المستر راجندر برشاد رئيس جمعية التشريع الهندي وقع عليها بعد إكماله في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٤م يقول في خطابه الوداعي الذي ألقاه في المجلس التشريعي : لا يمكن أن يشمل كل شيء في الدستور ولكن يجب اتخاذ المواقف

[1] The Constitution (Eighty-sixth Amendment) Act, ٢٠٠٢, s. ٢ (w.e.f. the date to be notified).
On the enforcement of s. ٣ of the Constitution (Forty-fourth Amendment) Act, ١٩٧٨, art. ٢٢ shall stand amended as directed in s. ٣ of that Act. For the text of s. ٣ of that Act, See Appendix III.

اللازمة تجاه هذه القوانين " ولكن لم يكن الأمر هكذا بل سوى (الطريق) لإدخال جميع الأمور في البنود من الدستور الهندي[1].

نالت الهند حريتها من نير الاستعمار الغاشم في عام ١٩٤٧م ، ولم يكن هناك أي تصور للقانون المدني الموحد في فترة كفاح الحرية ، قدم هذا الاقتراح في جلسة ٣٠ مارس سنة ١٩٤٧م وقررت اللجنة الفرعية أن تضاف مادة القانون المدني الموحد في المبادئ التوجيهية ، وذلك بأصوات الأغلبية الكاثرة للأعضاء ، وحينما قدم مشروع الدستور الهندي في البرلمان ونوقشت مادة ٤٤ التي كانت تشتمل على إعطاء القانون المدني الموحد المكانة القانونية ، رفع كثير من الأعضاء المسلمين أصواتهم ضد هذا القانون ، وقدموا تعديلات شتى في مادة ٤٤ ، ولكن لم تقبل مرافعاتهم وتعديلاتهم ، ونذكر هناك بعض التعديلات التي أشار إليها محمد إسماعيل رئيس هيئة القضية الإسلامية يقول :

أن تضاف هذه النقطة في المادة رقم ٣٥ بأن لا يجبر أي مجموع أو طبقة على التنازل عن أحوالها الشخصية إذا كان عندها مثل هذا القانون[2] (مجادلة المجلس التشريعي المجلد ٣٦/٧) .

أن يربط هذا الجزء الجديد الفرعي بجزء (جي) لمادة ١٣ حرية الاستقلال الديني لسكان البلاد ، وكل من كان على دين أو يظهر انتماؤه إليه (مجادلة المجلس التشريعي المجلد ٧٣١/٧) لكن رفضت تعديلات الأعضاء المسلمين للبرلمان رغم الحوارات والبحوث المطولة مع أنها قدمت لاحتفاظ قانون الأحوال الشخصية من أضرار المادة رقم ٤٤ وطمأنهم الدكتور امبيدكر بقوله: وبهذا تحول الحكومة الخيار فقط ليس معناه أنها ترفض قوانين الأحوال الشخصية للأقليات رغم معارضة المسلمين والمسيحيين والأقليات الأخرى ، وأن الحكومة لا تصر على استخدام هذا الخيار القانوني مع معارضة الأقليات[3].

مادة ٤٤ وسلطات الحكومة :

إن سلطات الحكومة تكون معينة محدودة عملياً سواء كان

---

[1] هندوستان تائمز ٢٤ مايو ١٩٩٥م

[2] مجادلة المجلس التشريعي المجلد ٣٦/٧ قانون ساز كونسل دلهي الجديدة

[3] تائمس آف انديا نئي دلهي ٢٨ يوليو ١٩٩٥م

نطاق سلطاتها واسعة وغير محدودة ، لأن أي حكومة مستقلة لا تخطو قدماً على أي إجراء وعملية تؤدي إلى ثورة طبقة أو مجموع ، وإذا تخطت تعد فاترة العقل .

وقد صرح رئيس الوزراء الأسبق جواهر لال نهرو ما آن لنا أن نخوض في مضمار القانون المدني الموحد ، ونخطو خطوة لإنجاز هذه الخطة .

وكذا صرحت انديراغاندي ووشوناتھ برتاب سنغ ، فالعجب على الذين يثيرون هذه القضية مع أن الأمر لا يتعلق بهم ، فالخوض في هذا المجال ضياع للوقت ، فخلاصة القول أن مادة ٤٤ قررت بالإضافة والتعديل رغم معارضة شديدة من أعضاء البرلمان ، وبذلك أصبح دستورنا الهندي عرضة للتناقض الظاهر .

وفي جانب آخر أضيف في الجزء الثالث من الدستور الهندي تحت مادة ٢٥ بين الحقوق الأساسية بأن يحظى جميع المواطنين في البلاد بحقوق متساوية لاعتناق أي دين وتبليغه ونشر دعوته بشرط أن لا يتأثر بها الأمن العام والأخلاق العامة والصحة العامة وغير ذلك من التوضيحات الأخرى لهذا الجزء .

والواقع أن المجالس المركزية والأقلية تتدخل في شؤون قانون الأحوال الشخصية للمسلمين منذ أن نالت البلاد حريتها وكانت التوضيحات المختلفة لقانون الجزاء تقدح على قوانين الإسلام العائلية ، وإن قانون إلغاء الإقطاعات في أترابراديش حرمت النساء من الوراثة .

وطبقاً لحق تشريع القوانين المخولة للدستور الهندي كانت الحكومة المركزية والإقليمية كلها تختار في تشريع قوانين النكاح والطلاق والوراثة التي تدخل في نطاق قانون الأحوال الشخصية للمسلمين (نظر مادة ٢٤٦ للدستور الهندي) .

ولذلك أعلنت حكومة حزب بي جي بي استفادة من حقوق تشريع القوانين أنها تطبق القانون المدني الموحد ، وإن جمعيات شيو سينا قررت مشروعين تقدح بها قوانين أحوال الشخصية للمسلمين .

من كنوز القرآن الكريم :

تفسير القرآن الكريم

للعلامة السيد سليمان الندوي

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

سورة حم السجدة

وزينا السماء الدنيا بمصابيح ، وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم :

قال الله تعالى : وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (يس : ٣٧ – ٣٨)

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم :

قال الله تعالى : الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (يس : ٦٥)

وإما ينزغنك من الشيطان نزغ :

قال الله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ، إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (غافر : ٥٦)

لا يسئم الإنسان من دعاء الخير :

قال الله تعالى : وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ . وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ . إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (هود : ٩ – ١١)

فلننبئن الذين كفروا بما عملوا : قال العلامة : الكفر بالساعة كفر بالله.

وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأ بجانبه :

قال الله تعالى : وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسا (الإسراء : ٨٣)

سورة الشورى

عمود السورة : الدين واحد ، وهو التوحيد ، والإيمان بالساعة والرسل .

من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها :

قال الله تعالى : وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي

الشَّاكِرِين (آل عمران : ١٤٥)

وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ..... إنه علي حكيم :

قال العلامة : فالعلو يقتضي أن لا يكلمه ، ولكن حكمته اقتضت .

سورة الزخرف

عمود السورة : التوحيد يرد الشرك ، مع الملائكة والملوك والأنبياء ، فمن الملوك فرعون ، ومن الأنبياء عيسى .

والذي خلق الأزواج كلها ، وجعل لكم من الفلك والأنعام ما ترتبون ..... لتستووا على ظهوره :

قال الله تعالى: وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (يس : ٤١ – ٤٢)

وقال الله تعالى: أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ (يس : ٧١ - ٧٣)

وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين:

قال الله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (يس : ١٢)

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه :

قال الله تعالى: فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيل (الشعراء : ١٦ – ١٧)

أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين:

قال العلامة : لأن موسى لم يكن من القبط ، ولا يعرف القبطية .

وقالوا وآلهتنا خير أم هو ، ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون :

قال العلامة : فإن المسلمين لم يتخذوه إلها .

سورة الدخان

كم تركوا من جنات وعيون :

قال الله تعالى: فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيل (الشعراء : ٥٧ – ٥٩)

سورة الجاثية

عمود السورة : الساعة .

سورة الاحقاف

ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة :

قال الله تعالى: أفمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ

فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُون (هود : ١٧)

ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ..... أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا :

قال العلامة : تغفر الذنوب من إطاعة الوالدين .

وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن :

قال العلامة : كانوا يتخذون الجن آلهة قرباناً .

سورة محمد

عمود السورة : الغلبة للمؤمنين ، والذلة للكفار والمنافقين .

فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك :

قال الله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيما (الفتح : ١ – ٢)

سورة الفتح

عمود السورة : فتح مكة .

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر :

قال الله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللَّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم (محمد : ١٩)

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله : هنا ذكر بيعة الرضوان .

وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة : هنا ذكر صلح الحديبية .

كزرع أخرج شطأه فآزره : قال العلامة : تمثيل في النموّ والزيادة تدريجاً .

سورة الحجرات

عمود السورة : تعليم الآداب .

إن جاءكم فاسق فتبينوا :

الاجتناب من الواشين ، لأنهم يبعثون الحقد في قلوبهم ، ولا تتفردوا بآرائكم .

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا : هنا ذكر إصلاح المسلمين .

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم : لأنه يبعث الحقد والحسد ويشمل الكبر وتحقير الآخر .

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن : لأنه ينشئ السوء بالمظنون به ، ويجر إلى فساد ذات البين .

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى : ذكر المساواة لأنه يبعث الحب .

قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا : نهي الأعراب عن قتل الناس وسفك الدماء.

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله :
الجهاد في سبيل الله ليس بفرد ، أي لا يكفي الجهاد في سبيل الله فقط بل لا بد أن يسبقه الإيمان .

سورة ق

عمود السورة : يوم الدين وأحواله .
ق ، والقرآن المجيد :
قال العلامة : أقسم بالقرآن على الحياة بعد الموت ، لأنه يحيي القلوب بعده مؤمنة .
وإذا متنا وكنا تراباً ، ذلك رجع بعيد : يوم القيامة هو الحق .
ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام :
قال العلامة : خلق الله ، وهو قادر على أن يخلق في طرفة عين في ستة أيام بالتدريج ولم يكن هذا التدريج للغوب مسَّه ، بل اقتضاه عظيم حكمته .
فاصبر على ما يقولون : قال العلامة : كذلك اصبر وانتظر الفوز بالتدريج، واستمسك بذكر الله ليندفع الحزن .

سورة الذاريات

عمود السورة : يوم القيامة ، يوم نهاية الناس .
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون :
قال العلامة : الساحر الذي يدعي العجائب ، ويقول بها بالقصد ، والمجنون الذي يدعي ، ويقول بها بلا قصد .

سورة الطور

عمود السورة : القيامة .
والطور وكتاب مسطور :
لعله القرآن ، الذي هو منشور في البيت المعمور والأرض .

سورة النجم

عمود السورة : نهي عن عبادة الملائكة والكواكب .
والنجم : لعله عطارد .
الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم :
لأنه يعلم أن الإنسان مركب من الخطأ والنسيان .
أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى :
قال الله تعالى: قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (الأنعام : ١٦٤) . وجاء مثل ذلك في سفر التكوين .

سورة القمر

عمود السورة : الانتفاع بالنذر ، وآية القمر كانت نذيراً .

ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر: الدليل بالقيامات الصغرى على القيامة الكبرى .

وحملناه على ذات ألواح ودسر:

عبّر الله تعالى عن السفينة بألواح ودسر ، لأن المقام يقتضي بتصغير شأنها ، لتكبير آية الله تعالى .

سورة الرحمن

عمود السورة : التذكير بآلاء الله .

مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ :

قال الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَـذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَـذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُورا (الفرقان : ٥٣)

كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام :

قال الله تعالى: وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون (القصص : ٨٨)

سورة الواقعة

إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة : ذكرت في هذه الآيات أحوال القيامة .

وكنتم أزواجا ثلاثة :

قال الله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّهِ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير (فاطر : ٣٢)

نحن خلقناكم فلولا تصدقون : قال العلامة : إثبات خالق القيامة إلى آخر السورة .

سورة الحديد

عمود السورة : جهاد بالمال والنفس ، الإيمان بالله وقدره ورسله ، والمنع عن البخل الذي هو من لوازم الإيمان .

ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان :

قال العلامة : طريقان لإقامة القسط ، أولهما الكتاب والميزان ، وثانيهما: الحديد .

سورة المجادلة

عمود السورة : مكالمة النبي ، المكالمة الحسنة .

إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم : المكالمة السيئة والمناجاة .

ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم : نزلت في شأن المنافقين .

لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر :

قال الله تعالى: وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ . فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ (المائدة : ٨٣ – ٨٦)

سورة الحشر

عمود السورة : غزوة بني النضير .

ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا : كفروا بمحمد وما أنزل إليه .

ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم :

تنبيه للمسلمين أن لا يكونوا مثل اليهود ، الذين عذبوا بالجلاء .

سورة الممتحنة

عمود السورة : عدم موالاة المحاربين . لعل السورة نزلت قبل الفتح .

لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم : نزلت في قريش .

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا : لا تجعل المهاجرين فتنة للكفار من قريش.

سورة الصف

عمود السورة : الدعوة إلى الجهاد وإظهار الدين .

فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم : كذلك المسلمون يظهرون على قريش .

سورة الجمعة

عمود السورة : الرد على اليهود ودعوى اختصاصهم بالنبوة .

يسبح لله ما في السماوات ..... ويعلمهم الكتاب والحكمة : خطبة الجمعة صيغت في هذا القالب .

سورة المنافقون

عمود السورة : الرد على المنافقين .

سورة التغابن

عمود السورة : الدعوة إلى الإيمان .

فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا :

قال الله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (الأعراف : ١٥٧)

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً : الإيمان بالله فيه الإيمان بالرسول .

ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله :

قال العلامة : أحياناً يفسد الإيمان عند المصائب ، فمن يؤمن بقدر الله يهد قلبه .

يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم :
قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِينا (النساء : ١٤٤)

سورة الطلاق

عمود السورة : إصلاح بيت المسلمين .
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته : أي في حق الزوجية .
وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله : لعله الزنا ، وفساد أحوال بين الرجال والنساء .

سورة التحريم

عمود السورة : إصلاح أهل بيت المسلمين .
يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك :
قال العلامة : الخطاب بالنبي ، حكمته أن هذا الفعل لا يجوز لك بحيث كونك نبياً ، لأن أمرك وفعلك شرع .

سورة الملك

عمود السورة : الإيمان بالله .

سورة القلم

عمود السورة : الإيمان بالقيامة .
ما أنت بنعمة ربك بمجنون : المجنون ليس له أمر و لا خلق .
أن كان ذا مال وبنين : يكف المال عن قبول الهدى .
وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ..... إنه لمجنون :
قالوا له مجنون ، لأنه يذكر القول ليس دونه ذكر .

سورة الحاقة

عمود السورة : الدعوة إلى الإيمان والجزاء .
فليس له اليوم ههنا حميم :
قال العلامة : لأنه لم يكن مؤمناً بالله العظيم ، وليس له طعام ، لأنه لم يكن يطعم المسكين .

سورة المعارج

عمود السورة : الجزاء .
والذين هم لفروجهم حافظون ..... فأولئك هم العادون :
قال الله تعالى : وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (المؤمنون : ٥ – ٧)

يوم يخرجون من الأجداث سراعاً :
قال الله تعالى : وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُون (يس : ٥١)

سورة نوح

عمود السورة : الدعوة إلى التوحيد ، وعاقبة منكريه .
نقلت استغفروا ربكم ، إنه كان غفاراً :
قال الله تعالى : وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ (هود : ٥٢)
وجعل القمر فيهن نوراً ، وجعل الشمس سراجاً : النور يأتي من السراج .

سورة الجن

عمود السورة : نفي الغيب وإبطال الكهانة .
وأن المساجد لله : إن الكعبة لله فلا تصلح للأوثان .

سورة المزمل

عمود السورة : صلاة الليل .
فعصى فرعون الرسول : فتهلكون كما هلك فرعون وقومه .
علم أن سيكون منكم مرضى : نبوة المستقبل .

سورة المدثر

عمود السورة : النار .

سورة القيامة

عمود السورة : القيامة .

سورة الإنسان

وهي سورة الدهر ، الشكر والصبر وجزاؤهما ، الشكر على ما أنعم ، والصبر عدم الجزع لما لم ينعم .
وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حفت الجنة بالمكاره (صحيح مسلم عن أنس) جامع الأصول : ٨٠٧٠ .
عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق :
قال الله تعالى : أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً (الكهف : ٣١)
وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً : في القيامة .
وما تشاءون إلا أن يشاء الله :

وما تشاءون حالاً باختياركم وإرادتكم إلا أن يشاء الله بإرادته ، فيضطركم إليه ، ولكن الله عليم حكيم ، لا يفعل ذلك .

سورة عبس

عبس وتولى أن جاءه الأعمى :

قال الله تعالى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً . (الكهف : ٢٨)

سورة التكوير

عمود السورة : صدق القرآن .

سورة الانفطار

عمود السورة : القيامة .

سورة الكافرون

قل يا أيها الكافرون :

قال الله تعالى : قُلْ يأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (يونس : ١٠٤)

لكم دينكم ولي دين :

قال الله تعالى : وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (يونس : ٤١)

انتهت بفضل الله تعالى ومنه سلسلة تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي ، وقد تجلى من هذا التفسير أنه كان يفسر القرآن بالقرآن ، ويأتي بنكت ولطائف علمية خلاله ، وقد ذيّل هذه النكت التفسيرية في نسخة المصحف التي يتلوها صباح مساء ، ليل نهار ، وكانت هذه النسخة في شكل مخطوط عند نجله العظيم فضيلة الشيخ السيد سلمان الندوي (نزيل دربن ، إفريقيا الجنوبية) ، فأودعها في دار المصنفين أعظم جراه ، (الهند) ، فنقلنا هذه النكت من النسخة نفسها ، والحمد لله الذي بنعمته وجلاله تتم الصالحات .

في الشعر والأدب

يا ابن عرفان

شعر: د. عبد الحكيم الأنيس

(قرأت في شهر شوال سنة ١٤٠٣ هـ الكتاب الرائع " إذا هبت ريح الإيمان " للعلامة الجليل الأستاذ أبي الحسن الندوي – رحمه الله – فأثّر فيّ كثيراً ، وهزّني هزّاً شديداً ، فقلت هذه الأبيات أخاطب بها الإمام الشهيد أحمد بن عرفان بمناسبة مرور (١٥٧) سنة على استشهاده ، فقد استشهد في ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٢٤٦ هـ ، رحمه الله ورضي عنه ، وعمن كان معه)

طاولتَ أيامَ الزمانِ عِنادا ... وأبيتَ إلا أنْ تموتَ جهادا
ورفعتَ للإسلامِ في العهدِ الضل ... يل منائراً وبعثتَهُ وقّادا
ذكّرتنا عهدَ الصلاحِ بهمةٍ ... حُرِقَ الفسادُ بها وعاد رمادا
لكَ أنْ تقولَ وأنْ تصولَ فأنتَ ... أنتَ إمامُها يا مَن يشِعُ رشادا

-❖ -❖ -

بكَ أشرقتْ أرضٌ تطاولَ ليلُها ... وبُعِثْتَ روحاً تَبْعَثُ الأجسادا
بكَ أينعتْ ثمراتُ تاريخٍ ... عقيمٍ ما نما حتى طلعتَ فجادا
جددّتَ دينَ اللهِ في قومٍ خبا ... إيمانُهُمْ فمضى الظلامُ وبادا
قُمْ يا ابن عرفانٍ كفاناً ذلةً ... وكفاكَ في أرضِ البعادِ رُقادا

-❖ -❖ -

أخبار علمية وثقافية

(١) مسابقة الشيخ غانم بن علي آل ثاني - فرع الهند

تم افتتاح مسابقة الشيخ غانم بن علي آل ثاني للقرآن الكريم والحديث الشريف للمرة الثانية في ٢١ / فبراير ٢٠١٥ م الموافق ٣٠ / ٤ / ١٤٣٦ هـ ، وذلك في مدينة دربنجا ، بولاية بهار .

افتتحها الشيخ خالد الغانم آل ثاني وفضيلة الشيخ القاضي محمد قاسم القاسمي وعدد من العلماء الكبار .

واستمرت المسابقة ليومين ٣٠ / ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ وغرة جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ ، شارك فيها أبناء ٧٥ / مدرسة إسلامية من مختلف أنحاء الهند .

وقد عقدت الجلسة الختامية في اليوم الثاني غرة جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٢ / فبراير ٢٠١٥ م ، وزعت فيها الجوائز على الفائزين بالدرجات الأولى والثانية والثالثة ، كما وزعت الجوائز التشجيعية على جميع المشاركين ، وقد فاز بالجائزة الأولى في المسابقة القرآنية أحد طلاب دارالعلوم لندوة العلماء كما قد ساهم في مسابقة حفظ الحديث الشريف طالب من دارالعلوم أيضاً ونال جائزة تشجيعية غالية .

وقد حضر الجلسة الختامية كوكبة من العلماء والمثقفين منهم فضيلة الشيخ المفتي محفوظ الرحمن العثماني ، وفضيلة الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفوري ، وسعادة البروفيسور أختر الواسع مفوض الأقليات اللسانية لحكومة الهند ، وسعادة الدكتور شكيل أحمد القاسمي ، وفضيلة الشيخ المقرئ رياض أحمد المظاهري ، كحكم للمسابقة القرآنية ، وكاتب هذه السطور مع جماعة من إخوانه كممثل لدارالعلوم ندوة العلماء ورئيساً للحفلة الختامية ، وألقى كلمة الرئاسة أخيراً وشكر القائمين الكرام على عقد هذه المسابقة في هذه البلاد للمرة الثانية ، ورجا منهم أن تستمر هذه المسابقة بصورة دائمة بمشيئة الله تعالى ، وقد أعلن سمو الشيخ خالد الغانم آل ثاني عن المسابقة القادمة في المستقبل على نطاق أوسع للقرآن والحديث .

وقد انتهى الحفل بدعاء فضيلة الشيخ القاضي محمد قاسم القاسمي ؛ وأثمرت جهود فضيلة الدكتور محمد رحمة الله الندوي حفظه الله تعالى منظم المسابقة والمشرف عليها ، ولا يخفى دوره في إنجاح المسابقة بمشيئة الله تعالى .

(٢) مؤتمر الصحوة التعليمية في جامعة القاسم دارالعلوم الإسلامية في سوبول بولاية بهار ، الهند

عقد فضيلة الشيخ المفتي محفوظ الرحمن العثماني مؤسس ورئيس جامعة القاسم دارالعلوم الإسلامية في منطقة سوبول بولاية بهار الهند ، ندوة إسلامية حول موضوع التعليم الإسلامي في العالم ، بعنوان مؤتمر الصحوة التعليمية ، وقد نظمه أصحاب الاهتمامات التعليمية في ولاية بهار ، وفي مقدمتهم سعادة الدكتور شكيل أحمد القاسمي ، وذلك في اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير ٢٠١٥ م الموافق ٢ / من شهر جمادى الأولى ١٤٣٦ هـ في رحاب الجامعة .

وقد حضر المؤتمر عدد محترم من أهل العلم والثقافة البارزين ، منهم فضيلة الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفوري ، أمين عام مظاهر علوم بمدينة سهارنفور الهند ، وفضيلة المفتي الشيخ محمد أسعد الأعظمي ، وسعادة الأستاذ الدكتور أخترالواسع مفوض الحكومة الهندية للأقليات اللسانية ، وقد رأس المؤتمر كاتب هذه السطور ، ومعه جماعة من الأساتذة والمحبين ، منهم محمد فرمان الندوي ، ومحمد عبدالله المخدومي الندوي .

وكان عدد المستمعين فوق الحسبان ، ومعظمهم عمداء ورؤساء المدارس الإسلامية في ولاية بهار والمعنيون بموضوع التعليم الإسلامي وغيره ، وكان المؤتمر ناجحاً في الهدف المنشود ، و من خلال الخطب والكلمات التي ألقيت فيها ، والتي كانت نبراساً للناس ، وكانت في الأخير كلمة رئاسية للعبد الضعيف فتكلم ما قد سنحت له من أفكار وآراء ، ولفت أنظار الناس واهتماماتهم إلى التركيز على التعليم وتوفير وسائله على جميع المستويات باختلاف المناطق والبلدان والمجتمعات .

أما الشيخ المفتي العثماني فله نشاط ملحوظ في هذا الموضوع ، فلا تسنح له فرصة إلا وينتهزها لتنشيط مسائل التعليم وإثارة اهتمام الشعب بموضوع التعليم بجميع أنواعه ، وكسب لفتات أوساط التعليم والتثقيف والتربية إلى توسعة نطاق المتعلم والمعلم . والله ولي التوفيق .

إلى رحمة الله تعالى

(١) الأخ السيد معيد أشرف في ذمة الله تعالى

فوجئت مؤسسة الصحافة والنشر لندوة العلماء بوفاة المسئول عن المكتب السيد الأخ معيد أشرف الندوي صباح يوم الخميس المؤرخ ٢٩/ من شهر ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ الموافق ١٩/ من شهر فبراير لعام ٢٠١٥م في قريته المجاورة بـ " ردولي " مديرية فيض آباد ولاية أترابراديش (الهند) فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأخ السيد معيد أشرف من أبناء دارالعلوم لندوة العلماء المتخرجين منها في عام ١٩٧٦ م ، ومنذ ذلك الوقت كان مرتبطاً بأعمال إدارية متعددة تحت إشراف ندوة العلماء ، فكان مدير مكتب " تعمير حيات " الصادرة من ندوة العلماء باللغة الأردوية ، إلى مدة لا بأس بها ، وكان في مكتب قسم الصحافة يمارس عمله بأمانة وشعور بالمسئولية ، ولقد أصيب منذ مدة بمرض السكر ، ورغم معالجات مختلفة لم يشف من مرضه ، وإنما كان يتزايد مع مرور الأيام ، حتى وافاه الأجل وهو في قريته مع أهله وأعضاء أسرته .

ومع بلوغ النبأ الحزين إلى دارالعلوم سارع عدد كبير من المدرسين والموظفين وأقربائه ومحبيه في دارالعلوم ومدينة لكهنؤ إلى قريته لتقديم التعازي والصلاة عليه ، وكان من بينهم فضيلة الشيخ الأمين العام لندوة العلماء السيد محمد حمزة الحسني الندوي وفضيلة الشيخ السيد واضح رشيد الحسني الندوي معتمد التعليم لندوة العلماء وآخرون .

كان الراحل الكريم يتمتع بأخلاق نبيلة ، وصفات طيبة من العلم والدين والمعاملة الحسنة مع الجميع فكان محبباً لدى الناس جميعاً .

خلف وراءه أسرة وأقرباء ، والأهل والأولاد من الذكور والإناث .

تغمده الله بواسع رحمته ، وغفر له زلاته ، وتقبل أعماله وأكرمه بالجنات والنعيم ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان . (والله غفور رحيم)

(٢) الشاعر الإسلامي الكبير السيد كليم أحمد عاجز في ذمة الله تعالى

السيد كليم أحمد عاجز الشاعر الإسلامي المعروف من ولاية بهار وكان يعيش في ولاية جارخند الشقيقة لولاية بهار ، يوسع الناس بثقافته الشعرية والأدبية ، وطالما كان يقلد منهج الشعراء القدامى في الهند ، وفي مقدمتهم الشاعر الإسلامي " ميردرد مير " وقد عرفه الناس في الهند

بأكملها كشاعر مسلم يتميز بطريقه الخاص لمخاطبة النفوس ، والحصول على إعجابهم بكلامه الشعري ، فاستطاع أن يحرز ملكة التربية الدينية والخلقية ويثير في المجتمع روح المعنوية والمعرفية الحقيقية بشعره البليغ .

قد استأثرت به رحمة الله تعالى يوم الأحد في ٢٥/ من شهر ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ الموافق ١٥/ من شهر فبراير ٢٠١٥ م بالغاً من العمر ٩١/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وقد ظل طوال حياته مشغولاً بالإصلاح والتربية من خلال أعماله الأدبية والشعرية ، متصلاً بأوساط العلماء والمربين ، كما كانت له صلة خاصة بسماحة شيخنا العلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ورجال ندوة العلماء بوجه خاص ، ولذلك فإن نبأ وفاته قد أحدث جواً من الحزن والرثاء عليه في أوساط أهل العلم والدين والإصلاح والتربية بوجه عام ، وقد تحدث الناس عن حياته ومكانته في مقالات نشرتها الجرائد والمجلات ، ووسائل الإعلام ، وبكاه الشعراء والأدباء شعراً ونثراً ، وشهد كبار الناس بخدماته الجليلة العظيمة التي أنجزها .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفر له زلاته وأكرمه بخير الجزاء في جنات ونعيم ، وألهم أهله وذويه والجميع الصبر والسلوان .

(٣) فضيلة المفتي مفضال الرحمن القاسمي في ذمة الله تعالى

في اليوم الرابع والعشرين من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣٦ هـ الموافق ١٤/ من شهر فبراير ٢٠١٥ م انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ المفتي مفضال الرحمن ، في موطنه بمديرية سلطان فور بولاية أترابراديش الهند ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد من الطراز القديم لعلماء المسلمين في الهند ، وكان مرجعاً في الفتاوى ، يرجع إليه الناس من أنحاء البلد المختلفة ويستفيدون منه في المسائل الفقهية والشرعية ، كما أنه كان يتناول الناس بالتربية الإسلامية ، ويفيدهم في مجال العقيدة والإيمان والسنة النبوية والسيرة الطيبة ، وقد خلف والده الجليل الشيخ بشارت علي في التربية الدينية وتدريس العلوم الإسلامية ، وسنحت له فرصة العيش تحت تربية العلامة المربي الشيخ أبرار الحق الحقي عالم الهند الكبير وخليفة الإمام التهانوي، فأنشأ جماعة من العلماء والأساتذة والمربين ، كما أنه قام بخدمة الوطن والملة وجماهير الناس من خلال حركة جمعية علماء الهند ،

بعيداً عن سلبيات السياسة ، وممثلاً الإيجابيات في جميع أعماله ونشاطاته .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له زلاته وأكرم نزله في جنات ونعيم وألهم الجميع وأهله وذويه ومحبيه الصبر الجميل .

(٤) الأخ العزيز السيد محمد أحمد الندوي إلى رحمة الله تعالى

فجاءة انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ العزيز السيد محمد أحمد ابن السيد مقبول أحمد ، صاحب " سفريات فاران " في لكهنؤ ، يوم السبت ، السابع من شهر فبراير ٢٠١٥ م الموافق ١٧/ من ربيع الثاني لعام ١٤٣٦ هـ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل العزيز قد تلقى الدراسة الدينية في دارالعلوم ندوة العلماء ثم انتقل إلى المدارس العصرية حيث أتم دراسة العلوم العصرية وتعلم اللغات الإنجليزية والهندية ، وأصبح متعاوناً مع والده الكريم السيد مقبول أحمد في شركته للسفريات باسم فاران ، كما أن زوجته كانت موظفة في إحدى المدارس العصرية ، وكان من دأبه كل يوم أن يوصلها إلى المدرسة ثم ينطلق إلى مكتبه .

وهكذا كان يوم وفاته بعد ما تركها في المدرسة واتخذ طريقه إلى المكتب اصطدمت دراجته النارية سيارة من خلفها وقد أصيب في رأسه ، وما هي إلا دقائق إذ أوصله البوليس والمارة إلى المستشفى حيث تم فحصه ولكنه كان قد فارق الحياة .

فكان ذلك حادثاً مؤلماً لجميع أعضاء الأسرة والأقرباء والأصدقاء، وأوساط المحبين ممن قاموا بالتعازي إلى عدة أيام .

ونحن إذ نعزي والديه وأهله وذويه نبتهل إلى الله تعالى أن يلهمهم الصبر الجميل ويعوضهم بما يزيل حزن هذا المصاب ، والله على كل شيئ قدير .

(٥) حرم الشيخ الطاهر الجزائري إلى رحمة الله تعالى

في اليوم الثامن عشر من شهر يناير ٢٠١٥ م ، غادرت حرم الشيخ الجليل الطاهر الجزائري (أحد علماء الجزائر الكبار والكاتب الإسلامي الكبير) السيدة " عائشة وقاقي " إلى دار الآخرة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة تساعد زوجها في جميع مجالات العلم والعمل مساعدة غالية ، وكانت تمثل سيرة خير الزوجات والأمهات

والمعلمات ، وقد تأثر فضيلة الشيخ الطاهر الجزائري بوفاتها وأصيب بالحزن الشديد .

تواترت رسائل العزاء إليه من جميع أنحاء العالم الإسلامي ، ودعا لها الناس فقالوا : تغمدها الله تعالى بواسع رحمته وجناته ، وحشرها مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

ونحن إذ نعزي الشيخ على هذا المصاب الكبير ، نبتهل إلى الله تعالى أن يملأ قبرها بالنور والفسحة والسرور ، وألهم زوجها الوفي الصبر الجميل والدعاء الخالص لها ، للدخول في جنات ونعيم .

(٦) الشيخ محمد أطهر السنبهلي إلى رحمة الله تعالى

أفادت الأنباء بوفاة الشيخ محمد أطهر السنبهلي يوم الخميس ليلاً عقب نوبة قلبية فاجأته في ٢٤/ من شهر ديسمبر المنصرم ٢٠١٤ م .

كان الراحل الكريم والد فضيلة الشيخ محمد أمجد الندوي أستاذ بدارالعلوم ندوة العلماء حالياً وأحد علماء سنبهل بمديرية مرادآباد الهند ، كان يتمتع بأخلاق فاضلة وصفات عالية من الدين والفضل والحب والثقة .

ونحن إذ نتقدم إلى الشيخ محمد أمجد بالتعازي الخالصة والدعاء للمغفرة والرحمة الواسعة ، نتضرع إلى الله تعالى أن يغفر له زلاته ويتقبل صالح أعماله ويكتب له جنات الفردوس ، ويلهم أهله وأبناءه وأعضاء أسرته الصبر والسلوة .

(٧) فضيلة الشيخ محمد حاذق القاسمي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ المحدث محمد حاذق القاسمي أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الرحمانية ببلدة مونغير لولاية بهار الهند ، وذلك في ١٧/ من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣٦ هـ الموافق ٧/ من شهر فبراير ٢٠١٥ م بالغاً من العمر ٨٢/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ القاسمي أستاذ الحديث الشريف بالجامعة الرحمانية منذ ثمانية أعوام ، وقضى حياته كلها في تدريس العلوم الإسلامية وتربية طلاب العلوم الدينية ، فجزاه الله تعالى عن صالح أعماله خير ما يجزي به عباده المخلصين العاملين ، وغفر له زلاته ورفع درجاته وألهم تلاميذه وأهله وذويه الصبر الجميل والتوفيق للدعاء الخالص ، والله ولي المتقين .

(٨) والد الدكتور شير أفغن إلى رحمة الله تعالى

في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣٦ هـ الموافق ٧/ من شهر فبراير لعام ٢٠١٥ م ، توفي الشيخ حسرت علي والد الشيخ الأستاذ شير أفغن الندوي ، أستاذ العلوم والآداب في المدرسة العالية العرفانية منذ فجر تاريخها ، وكان قد ركز على تعليم وتربية نجله العزيز الشيخ شير أفغن ، حتى كتب له التقدم في مجال العلم والدين ، وأحرز شهادة الدكتوراه من جامعة لكهنؤ (الهند) حول " علي الطنطاوي : حياته وآثاره " ، بتفوق ودرجة عالية .

إننا نتقدم إلى فضيلة الدكتور شير أفغن بالتعازي الخالصة على هذا المصاب العظيم ، وندعو الله سبحانه أن يتغمد الراحل الكريم بواسع رحمته ويغفر له زلاته ويسكنه فسيح جناته ويلهم جميع أعضاء أسرته وأهله وذويه الصبر الجميل .

(٩) الأخ الكريم السيد عبدالعزيز الندوي في ذمة الله تعالى

أفادت الأنباء مؤخراً بوفاة الأخ السيد عبدالعزيز بن فضيلة الشيخ السيد عبدالسميع الندوي رحمه الله تعالى مدير قسم التعمير والترقي بندوة العلماء سابقاً .

وذلك عقب نوبات قلبية كان قد أصيب بها منذ مدة بالغاً من العمر ستين عاماً ، حدثت وفاته صباح يوم الجمعة ٧/ من شهر جمادى الأولى عام ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٧/ من شهر فبراير لعام ٢٠١٥ م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل العزيز أكبر أنجال أبيه (وشقيق الأستاذ السيد عبدالرشيد الندوي مدير مكتب الكمبيوتر في دارالعلوم لندوة العلماء) وكان قد سكن في بيت الأسرة في كانفور مع جده فضيلة العالم الداعية الشيخ السيد عبدالحي ، أحد علماء كانفور ودعاتها الذي كان قد أنشأ جمعية تبليغ الإسلام في كانفور ، وقام عن طريقها بتبليغ دعوة الإسلام إلى أوساط غير المسلمين وضعاف العقيدة من المسلمين .

وقد نقل جثمانه من كانفور إلى دارالعلوم في بيت شقيقه الأخ السيد عبدالحي ، وهو موظف في إدارة ندوة العلماء ، وصلى عليه الناس في ساحة دارالعلوم بعد صلاة العشاء ودفن بمقبرة دالي غنج في لكهنؤ .

تغمده الله تعالى الراحل العزيز بواسع رحمته ، وأمطر عليه شآبيب المغفرة وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .